تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

بالقرآن كانت هذه الأمة، فكيف تعود بالقرآن؟

ص 2

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

4 دراهم

المحجة

نصف شهرية جامعة

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج ■■ 14 ربيع الثاني1439هـ الموافق لـ 02 يناير 2018م ■■ العدد: 488

قال
رسول الله ﷺ:
«كل أمتي يدخلون الجنة
إلا من أبى،
قيل يا رسول الله، ومن يأبى؟
قال: من أطاعني دخل الجنة،
ومن عصاني فقد أبى».
صحيح البخاري

افتتاحية

القدس الشريف وواجب الأمة

القدس الشريف ليس بقعة أرضية كبقية البقاع، ولا مدينة كأي المدن، ولا مسجدها الأقصى كبقية المساجد.

القدس الشريف بقعة مقدسة بتقديس الله تعالى لها واختيارها بلدا لنزول الوحي على أنبيائه، فهي مهبط الوحي ومدينة الأنبياء والمرسلين، وإرث لمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وهي مدينة الله ومدينة السلام ومدينة تحتفظ بإرث الأنبياء الذين جاؤوا بكلمة الإيمان والإسلام والإخلاص والعبودية لله جل وعلا.

والمسجد الأقصى اختاره الله تعالى مسرى لنبيه خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، الذي كلفه بإمامة الرسل في الصلاة قبل العروج إليه جل وعلا ليدل ذلك على انتقال الوراثة النبوية والإمامة لأمة الإسلام. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: 1).

والمسجد الأقصى اختاره الله ﷻ ليكون أول قبلة للمسلمين فقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: 143)، فقد اختبر الله عباده بالتوجه إليه في بداية نزول الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ (البقرة142)، فتوحدت أفئدتهم عليه وامتد حبل الوصل الإيماني مع تراث الأنبياء لينتقل مشعل حمل رسالة الإسلام للمسلمين ومعها حمل أمانة بيت المقدس.

لذلك جُعل حفظ المسجد الأقصى وما حوله واجبا من واجبات المسلمين الدينية التي أناط الله تعالى بهم حفظها ورعايتها، وجعله مكانا من الأماكن المقدسة، قال ﷺ: «لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (متفق عليه). وزاد الإسلام من مكانة هذا البيت عندما أخبر النبي ﷺ بعظم أجر الصلاة فيه إلى جانب المسجد الحرام والمسجد النبوي.

ومنذ ذلك الحين ظل المسجد الأقصى والقدس الشريف أمانة في عنق المسلمين ورمزا دينيا إسلاميا يدافعون عنه بالغالي والنفيس ويحمونه من كل تدنيس، ويُعْنَوْنَ به عناية تليق بمكانته عند الله تعالى وعاملوا أهله مسلمين وغير مسلمين معاملة الإنصاف والإكرام قلَّ أن نجد لها نظيرا عند أصحاب الديانات السماوية من اليهود والنصارى.

لكن مع ضعف الأمة الإسلامية ودخول الاستعمار إليها تطاول على القدس الشريف أصحاب الأساطير الفارغة ظلما وعدوانا، وعاثوا فيه خرابا وفسادا، وخرقوا فيه المواثيق والعهود، وحالفهم في ذلك الوضع العالمي بعد الحربين العالميتين وما نتج عنهما من أوضاع فاسدة وقوانين جائرة وتغلب الصهيونية العالمية وتحكمها في مراكز القرار الدولي حتى عجز مجلس الأمن الدولي عن إصدار قانون ينصف الفلسطينيين والمقدسيين دون إشهار ورقة الفيتو من واحد من أعضاء المجلس الدائمي العضوية وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

ومع دخول العالم العربي في بداية القرن الواحد والعشرين مرحلة جديدة من الضعف وتفرق الكلمة وزيادة منسوب التحكم الخارجي وصلت القضية الفلسطينية ومعها القدس الشريف إلى أسوأ وضع عرفه التاريخ الحديث والمعاصر.

إن الدفاع عن القدس الشريف والمسجد الأقصى ومعهما حق الفلسطينين في السيادة على أراضيهم المغتصبة واجب ليس على الفلسطينيين وحدهم إنما هو واجب الأمة كلها؛ أفرادا وشعوبا ودولا، بل إنه واجب على شرفاء العالم وأحراره.

وإن التخاذل في نصرة الفلسطينيين والقبول بتغيير الوضع الإسلامي للقدس الشريف مع تجاوز التاريخ والقانون تسليما بدعاوى أسطورية مُخْتلَقة وخرقاء تخاذل سيكشف التاريخ زيفه، ويفضح فيه كل المقصرين، لذا فعلى الأمة أن تبادر إلى العمل بأولويات كبرى لا يقوم تحرير البلاد والعباد إلا بها:

أولا - الوحدة والائتلاف ودرء كل عوامل الفرقة والاختلاف.

ثانيا - بناء قوة اقتصادية ذاتية تمكن الأمة من إقامات علاقات دولية وشراكات متوازنة تضمن لها وجودها النِّدِّي في عالم التنافس على المصالح.

ثالثا - تربية الأجيال تربية إيمانية وعلمية بانية للشخصية المسلمة النموذجية في حفظ المقومات الحضارية للأمة والتفاعل الإيجابي مع المحيط العالمي بالاعتزاز للانتماء إلى الذات وصون مكتسبات الأمة من غير ذوبان ولا قابلية للانهزام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139).

خطبة منبرية

أيها المؤمنون: هذا نبع نبينا، فأين الواردون؟

ص 5

تجليات الخوف من الله في حياة رسول الله ﷺ وأثر ذلك على أمته

ص 4

السياسات التهويدية للقدس

ص 8

محورية الإنسان في الإصلاح

ص 10

بالقرآن كانت هذه الأمة، فكيف تعود بالقرآن؟

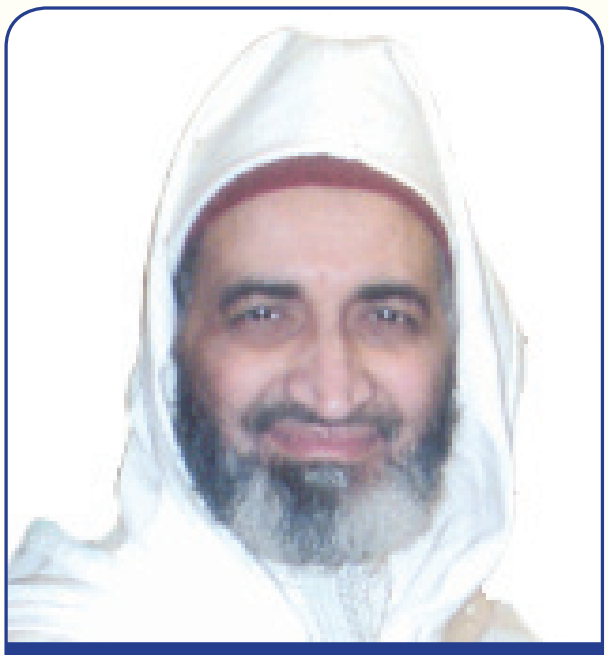

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

إلى العلماء العاملين.. إلى السادة المربِّين.. إلى أهل الفضل والصلاح.. إلى دعاة الخير والفلاح.. إلى الشباب الباحثين عن وَارِدٍ من نور، يخرجهم من ظلمات هذا الزمن العصيب!..

إلى جموع التائبين، الآيبين إلى منهج الله وصراطه المستقيم.. إلى المثقلين بجراح الخطايا والذنوب مثلي! الراغبين في التطهر والتزكية.. والعودة إلى صَفِّ الله، تحت رحمة الله..

إلى الذين تفرقت بهم السبُلُ حيرةً واضطرابا، مترددين بين هذا الاجتهاد وذاك، من مقولات الإصلاح!

إليكم أيها الأحباب أبعث رسالات القرآن!

إليكم سادتي أبعث قضية القرآن، والسِّرُّ كلُّ السِّرِّ في القرآن! ولكن كيف السبيل إليه؟

أليس بالقرآن وبحكَمَة القرآن جعل اللهُ -تَقَدَّسَتْ أسماؤُهُ- عَبْدَهُ محمداً بنَ عبد الله النبي الأمي ﷺ مُعَلِّمَ البشرية وسيد ولد آدم؟ وما كان يقرأ كتابا من قبل ولا كان يخطه بيمينه!

ثم أليس بالقرآن -وبالقرآن فقط!- بَعَثَ اللهُ الحياةَ في عرب الجاهلية فنقلهم من أُمَّة أُمِّية ضالة؛ إلى أُمَّة تمارس الشهادة على الناس كل الناس؟

ألم يكن القرآنُ في جيل القرآن مفتاحا لعالم المُلْك والملكوت؟ ألم يكن هو الشفاء وهو الدواء؟ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: 82).

ألم يكن هو الماء وهو الهواء لكل من كان حَيّاً -على الحقيقة- من الأحياء؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ. لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (يس: 69-70).

ألم تكن تلاوته -مجرد تلاوته- من رجل قرآني بسيط تُحْدِثُ انقلابا ربانيا عجيبا، وخرقا نورانيا غريبا في أمر المُلْك والملكوت؟ ألم تتنزل الملائكة ليلاً مثل مصابيح الثريا لسماع القرآن من رجل منهم، بات يَتَبَتَّلُ في سكون الدُّجَى، يناجي ربه بآيات من بعض سوره؟(1) ألم يقرأ رجل آخَرُ سورةَ الفاتحة على لَدِيغ من بعض قبائل العرب، اعتقله سم أفعى إلى الأرض، فلبث ينتظر حتفه في بضع دقائق، حتى إذا قُرِئَتْ عليه ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ -التي يحفظها اليوم كل الأطفال!- قام كأنْ لم يكن به شيء قط؟(2).

أليس هذا القرآن هو الذي صنع التاريخ والجغرافيا للمسلمين؟!

فكان هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف؟ وكان له هذا الرصيد الحضاري العظيم، الموغل في الوجدان الإسلامي؛ بما أعجز كل أشكال الاستعمار القديمة والجديدة عن احتوائه وهضمه! فلم تنل منه معاول الهدم وآلات التدمير بشتى أنواعها وأصنافها المادية والمعنوية، وبقي -رغم الجراح العميقة جدا- متماسك الوعي بذاته وهويته!

وما كانت الأمة الإسلامية قبل نزول الآيات الأولى من (سورة العلق) شيئا مذكورا! وإنما كان هذا القرآن فكانت هذه الأمة! وكانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(آل عمران: 110).

أليس القرآن الذي نتلوه اليوم هو عينه القرآن الذي تلاه أولئك من قبل؟

فما الذي حدث لنا نحن أهلَ هذا الزمان إذن؟

ذلك هو السؤال! وتلك هي القضية!

لا شك أن السر كامنٌ في منهج التعامل مع القرآن! وذلك هو سؤال العصر! وقد كتب غير واحد من أهل العلم والفضل حول إشكال: (كيف نتعامل مع القرآن؟)(3).

ولقد أجمع السابقون واللاحقون على أن المنهج إنما هو ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من أمر القرآن. فمن ذا اليوم يستطيع الصبر عليه؟ وإنما هو تَلَقٍّ للقرآن آيةً آيةً، وتَلَقٍّ عن القرآن حِكْمَةً حِكْمَةً! على سبيل التخلق الوجداني، والتَّمَثُّل التربوي لحقائقه الإيمانية العُمُرَ كلَّه! حتى يصير القرآن في قلب المؤمن نَفَساً طبيعيا، لا يتصرف إلا من خلاله، ولا ينطق إلا بحكمته! فإذا بتلاوته على نفسه وعلى من حوله غَيْرُ تلاوة الناس، وإذا بحركته في التاريخ غير حركة الناس!

وهكذا صنع الرسول ﷺ -بما أُنْزِلَ عليه من القرآن آيةً آيةً- نماذجَ حوَّلَتْ مَجْرَى التاريخ! ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: 106) فلم تكن له وسائل ضخمة ولا أجهزة معقدة! وإنما هي شِعَابٌ بين الجبال، أو بيوتٌ بسيطة، ثم مساجدُ آمنة مطمئنة! عُمْرانُهَا: صلاةٌ ومجالسُ للقرآن! وبرامجها: تلاوةٌ وتعلمٌ وتزكية بالقرآن! بدءا بشعاب مكة، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، وانتهاءً بمسجد المدينة المنورة، عاصمة الإسلام الأولى، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام! كانت البساطة هي طابع كل شيء، وإنما العظمة كانت في القرآن، ولمن تَشَرَّبَ -بعد ذلك- روحَ القرآن!

هكذا كانت مجالسُه ﷺ ثم مجالسُ أصحابه في عهده، ومن بعده، عليه السلام مجالسَ قرآنيةً، انعقدت هنا وهناك، وتناسلت بصورة طبيعية؛ لإقامة الدين في النفس وفي المجتمع معا على السواء، وبناء النسيج الاجتماعي الإسلامي من كل الجوانب، بصورة كلية شمولية؛ بما كان من شمولية هذا القرآن، وإحاطته بكل شيء من عالم الإنسان! وذلك أمر لا يحتاج إلى برهان. واقرأ إن شئت الآية المعجزة! ولكن بشرط: اقرأ وتَدَبَّرْ! تَدَبَّرْهَا طويلا! وقِفْ عليها مَلِيّاً! حتى بعد طيِّ صفحات هذه الورقات! فيا أيها المؤمن السائر إلى مولاه! الباحث بكل شوق عن نوره وهداه! أبْصِرْ بقلبك -عساك تكون من المبصرين- قولَه تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران:164).

ولك أن تشاهد هذه المِنَّةَ العظمى من خلال عديلتها، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: 2).

نعم! هذه هي الآية، وإنها لعَلامَةٌ وأيُّ علامة! فلا تَنْسَ الشرط!

تلك إذن كانت رسالة القرآن، وتلك كانت رسالة محمد ﷺ!

فيا أتباع محمد ﷺ! يا شباب الإسلام! ويا كهولَه وشيوخَه! يا رجاله ونساءه! ألم يئن الأوان بعد لتجديد رسالة القرآن؟ ألم يئن الأوان بعد لتجديد عهد القرآن؟ وإنما قضية الأمة كل قضيتها ههنا: تجديد رسالة القرآن! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ؟ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾؟! (الحديد: 16).

فيا أيها الأحباب! لنعد إلى مدرسة رسول الله ﷺ! لنعد إلى مدرسة القرآن! ومجالس القرآن! على منهج القرآن! صافية نقية! كما شهد عليها اللهُ جلَّ جلالُه في جيل القرآن، لا كما تلقيناها مشوهة من عصور المَوَاتِ في التاريخ!

---

1 - عن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ رضي الله عنه؛ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِه؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ. فَقَرَأَ؛ ثُمّ جَالَتْ أُخْرَىٰ! فَقَرَأَ؛ ثُمّ جَالَتْ أَيْضاً! قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ؛ [يعني: ابنه الصغير] فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ! [جمع سراج: وهي المصابيح] عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتّىٰ مَا أَرَاهَا! قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّه بَيْنَمَا أَنَا اللَّيْلَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ!» قَالَ: فَقَرَأْتُ؛ ثُمّ جَالَتْ أَيْضاً! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ!» قَالَ: فَقَرَأْتُ؛ ثُمّ جَالَتْ أَيْضاً! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ!» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ. وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيباً مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ. فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ. فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ. عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتّىٰ مَا أَرَاهَا! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ! وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ، مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ!» رواه مسلم. وقد روى البخاري نحوه مختصرا.

2 - عن أبي سعيد الخدري قال: (نزلنا منزلا فأتتنا امرأة فقالت: إن سيد الحي سليم لُدِغ فهل من راقٍ؟ فقام معها رجلٌ منا، ما كنا نظنه يحسن رُقْيَة! فرَقاهُ بفاتحة الكتاب؛ فبرأ! فأعطوه غنما وسقونا لبنا. فقلنا: أكنت تحسن رقية؟ فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب! قال: فقلت: لا تحركوها (يعني الغنم) حتى نأتي النبي ﷺ فأتينا النبي ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «ما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا، واضربوا لي بسهم معكم!» وفي صيغة البخاري: (فسألوه، فضحك، وقال: وما أدراك أنها رقية؟ خذوها واضربوا لي بسهم!) متفق عليه.

3 - منهم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، والدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله.

تجديد الدين عل رأس كل مئة سنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»

(رواه أبو داود (رقم/4291) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (149)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم/599).

توطئة للحديث:

أحاديث الرسول ﷺ، الصحيحة ثاني مصدر من مصادر التشريع الإسلامي التي وجب الإيمان بها، وبما جاءت به من نواهٍ وأوامر، وأخبار.....، فذلك من مقتضيات الإيمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: 58). فهي مبينة وموضحة ومكملة للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: 3 – 4).

وتزداد أهمية هذا الإيمان مع توالي الهجمات عليها –الأحاديث–، ومحاولة النيل من مصداقيتها بالطعن في من انتدب حياته وماله في سبيل جمعها وتصحيحها، وقصدهم من ذلك النيل من هذه الأحاديث لا ممن جمعها ومن هؤلاء الذين تعرضوا عبر التاريخ الإسلامي لهذه الهجمة: الإمام البخاري رحمه الله وجزاه الله خيرا عن هذه الأمة.

فلا يكاد يمر زمن إلا ويخرج علينا من يطعن فيما قام به البخاري رحمه الله من مجهود جبار في تنقيح الحديث الشريف من كل شائبة، والغرض من ذلك ليس البخاري وإنما الطعن في حديث رسول الله ﷺ. والمس بمصداقيته، وهو حدث تكرر عبر الزمن ولم ينل من صحيح البخاري، وإنما ظل الصحيح صحيحا تتوارثه الأجيال، أما شبهات الحاقدين فانتهت لمزبلة التاريخ.

الحديث الذي بين أيدينا مروي عن أبي داوود يخبر فيه رسول الله ﷺ، أن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها دينها، ومن هذا التجديد ما قام به البخاري، رحمه الله تعالى، من جمع وتصحيح وضبط لحديث رسول الله ﷺ، وفق منهجية صارمة تتوخى تنقيته من كل الزوائد وإزالة المدسوس فيه.

فما قام به البخاري رضي الله عنه يدخل في معنى التجديد للدين.

سنعيش بحول الله وقوته مع مضامين الحديث من خلال شرحه والوقوف على بعض معانيه.

لغة الحديث:

بعثه يبعثه بعثا: أرسله وحد، وبعث به: أرسله مع غيره.

الأمة: للأمة معاني كثيرة في القرآن لكن المقصود في الحديث: الجماعة المتفقة على دين واحد. والآيات التي تثبت ذلك كثيرة منها: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة: 50). ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (الأعراف: 32). ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ (الأنعام: 109). ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾ (الحج: 32).

يجدد: من جدد يجدد، فهو مجدد، والمفعول مجدد(للمتعدي)

والجدّ إنما هو الاجتهاد في العمل (اللسان) فكأن المجدِّد يجتهد ويبذل أقصى الوسع في العمل للإتيان بالجديد.

والجَديدُ: ما لا عهد لك به، ولذلك وُصِف الموت بالجديد (اللسان).

شرح الحديث:

فقول النبي ﷺ: «إنّ اللّه يَبْعَثُ لِهَذه الأُمّة».

هذه منة وتكرم من الله تعالى على هذه الأمة أن يبعث فيها من يجدد لها دينها أي تدينها الذي أصابه الانحراف فيزيل عنه كل ما علق به من شوائب نتيجة الفهوم الخاطئة والتأويلات المنحرفة التي تراكمت خلال مرحلة معينة من تاريخ الأمة الإسلامية.

وفي الحديث دليل على أن هذا الهُدَى سيصيبه تحريف وتشويه لمضامينه وأحكامه... وسيترتب عن ذلك تَغَيُّرٌ وتبدلٌ في أحوال العباد من الصلاح إلى الفساد، فتكون الحاجة ملحّة لمن يحيي التدين الصحيح الخالص الذي نزل غضا طريا على رسول الله ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاما، فهما و تطبيقا، أمرا ضروريا. والدكتور "الصلابي" في كتابه (الدولة الأموية) يبين أن كلمة (البعث) في الحديث تدل على الإرسال والإظهار، فالمقصود من الحديث أن المجدد من تأتي عليه نهاية القرن وقد ظهرت أعماله التجديدية واشتهر بالصلاح وعم نفعه.

فالحكم على المجدد من خلال أعماله، ومن خلال الأثر الذي يخلفه عمله في الخلق: من نقلهم من حالة الفساد إلى حالة الصلاح.

ويسجل التاريخ الإسلامي نماذج كثيرة من هؤلاء، الذين كان لهم الأثر البالغ في إحياء التدين الرشيد في الأمة، وبعثه من جديد، وتتعدد هذه النماذج بين عالم وفقيه ومحدث وحاكم ومرب... وكل واحد من هؤلاء كان له الأثر البارز في صلاح بيئته. ومن هؤلاء:

الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وصفه الحافظ الذهبي، فقال: "كان ثقةً مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى أحاديث كثيرة، وكان إمام عدل، رحمه الله ورضي عنه". (سير أعلام النبلاء 5/ 114).

والإمام المجدد أحمد بن حنبل على رأس المائة الثانية، قال فيه الإمام الشافعي: "خرجت من بغداد فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقهَ من ابن حنبل"(سير أعلام النبلاء).

فأجمع أغلب العلماء على هذين العلمين في التجديد خلال القرنين الأول والثاني، واختلفوا في تحديد من يليهم في القرون الباقية، وقد عقب الإمام ابن كثير على هذا الأمر بقوله: "وقد ادعى كل قوم في إمامهم، أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر، والله أعلم، أنه يعم حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء، من "مفسرين"، "ومحدثين"، "وفقهاء، "نحاة" "ولغويين"، إلى غير ذلك من الأصناف." (كشف الخفاء 1/283).

وهكذا فالحديث يعم حامل العلم العامل به المستوفي لشروط حددها العلماء فيما يلي:

نبوغه وتفوقه العلمي، وأن يكون ذا قدم راسخة في العلوم، وليس كثرة هذه العلوم فقط إنما يكون قادراً على نقدها وتصحيحها. وبجانب أن يكون المجدد عالماً فقد ضم بعض العلماء أن يكون المجدد مجتهداً.

ولا بد أن يضطلع بعمل من الأعمال التي تدخل تحت التجديد، ومن أهم ما في ذلك أن يقوم بتجلية الإسلام مما به من الانحرافات والشوائب الدخيلة على مفاهيمه الأصيلة، وإعادته إلى "القرآن الكريم" و"السنة النبوية"، ببث الآراء وإفشاء العلم بالتدريس وتأليف الكتب في المجال الفكري، وفي المجال العملي بإصلاح سلوك الناس وتقويم أخلاقهم.

وأيضاً أن يعم علمه ونفعه أهل عصره، وأن تكون مؤلفاته وآثاره مشهورة، وجهوده الإصلاحية ذات تأثير، ومن المعايير لمعرفة تأثير المجدد ما يتركه خلفه من أصحاب وتلاميذ ينشرون آراءه، ويوسعون دائرة الانتفاع بمصنفاته وأعماله الإصلاحية، وأن لا ينتهي أثره بنهاية حياته.

وهذه الشروط مستوفية في الإمام البخاري رحمه الله، ولذلك فقد استحق أن يكون مجدد لدين هذه الأمة كما في الحديث.

أما قول النبي ﷺ: «عَلَى رَأْسِ كُلِّ مائَةِ سَنَة»

اختلف في معنى رأس المائة المذكور في الحديث هل يراد به بداية المائة أو نهايتها، وهل يعتبر المبدأ من تاريخ المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة لكن الرأي الأغلب أن المراد برأس المائة هو أواخر كل مئة وأوائل المئة التي تليها.

والمستفاد من هذا التحديد –والله أعلم– هو أن الله تعالى لن يدع هذ الأمة دون أن يهيئ لها من يوقظها من نومها وسباتها، ويجمع شملها وشتاتها، لتتحمل مسؤوليتها من جديد في الشهادة على الناس.

وهذا المعنى يؤكد عليه الحديث الشريف في محاولة لبعث الأمل في النفوس ومقاومة اليأس الذي قد يصيب الأمة في كل مرحلة، خصوصا مع ازدياد هجمة الكفر على ديار المسلمين واغتصاب أراضيهم، وتفوقه المادي عليهم.

وقد وردت أحاديث شريفة تؤكد هي الأخرى هذا المعنى، من ذلك، قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء». "قالوا: يا رسول الله من الغرباء؟" قال: «الذين إذا فسد الناس صلحوا». (رواه مسلم).

ففي هذا الحديث، يصف النبي ﷺ الغرباء بقوله: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي» فهؤلاء الغرباء ليسوا يائسين ولا سلبيين في مجتمعاتهم، بل يصلحون ما أفسد الناس من سنن الإسلام، ويحيون ما مات من آدابه وأخلاقه.

وقوله ﷺ: «من يجدد لها دينها».

كما قلنا سابقا فإن الحديث الشريف يرسل أملا ووعدا من الله تعالى على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها، وفي هذا الوعد تأكيد على انتصار هذا الدين على باقي الجاهليات.

و قد أختلف العلماء في تحديد عدد المجددين وهل يكون واحداً أو أكثر، ولكن الظاهر من نص الحديث أن المجدد قد يكون واحدا أو أكثر، لأن لفظ "من يجدد الدين" لا يحدد عددا بعينه، فقد يكون المجدد واحدا أو أكثر، وقد يجدد الدين بجهاد أو دعوة.

ولذلك فإن الكثير من العلماء المحققين، منهم الحافظ "ابن حجر العسقلاني" في (فتح الباري) والحافظ "ابن كثير" في (دلائل النبوة) والحافظ "ابن الأثير" في (جامع الأصول) قد أشاروا إلى إمكانية حمل الحديث على عمومه من كون المجدد في كل عصر مجموعة من العلماء والقادة المصلحين الربانيين، ينفون عن الإسلام تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فما أشار إليه هؤلاء الفضلاء –العلماء المحققون– يدخل في إطار حماية هذا الدين وصيانته، وهي درجة مهمة في طريق عزة هذا الدين وسيادته، تحتاج إلى درجات أخرى ليصير مهيمنا وحاكما في الأرض من ذلك إعداد من يتولى حمل الدين بإحلال روح الدين الذي هو الوحي في كيانه (إحلاله حفظا وفهما وقدرة على التنزيل على الأحداث والوقائع).

فلا يتصور تجديد بدون إيجاد هذه القاعدة الصلبة التي تحمل هذا الدين، وتحييه في النفوس، فتتكاثف جهودها وتتعاون وتكامل، فيبعث الله تعالى من بين هؤلاء من يكون سببا في إخراج الأمة من الوهن الذي تعيش فيه، وهذه حقيقة البعث في الحديث والله أعلم.

وسواء كان المجدد فردا أو جماعة فإن مسؤوليته (ها) تزداد حجما وخطورة عندما تتكالب قوى الشر وتتعاون على النيل من هذا الدين كما هو واقع الأمة اليوم، فيصبح المجدد صاحب الهمة العالية: مجاهدا في الميدان مستعينا بالله أولا ومسلحا بالعلم ثانيا لصد كل عدوان يستهدف الأمة فيصدق عليه قول الرسول ﷺ: عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» (رواه مسلم). فيكون صمام أمانها ضد كل الهجمات. وقد قيل: فرد ذو همة، يحيي أمة!

بعض المستفادات من الحديث:

بعث المجدد لهذه الأمة سواء كان فردا أو جماعة منة وتكرم وفضل من الله تعالى لهذه الأمة.

الحديث يحيي الأمل في النفوس لعودة العزة لهذا الدين.

ثغور الإسلام متعددة إيجاد القائمين عليها سبيل لعودة العزة لهذا الدين.

ذ. محمد بوزين

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة | المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي | المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج | مسؤول الإخراج: رشيد صدقي | الموقع الاكتروني: www.almahajjafes.net | البريد الاكتروني: almahajjafes@gmail.com | عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب | الهاتف: 0535931113 | الناسوخ: 0535944454 | الإيداع القانوني: 1994-61 | رقم الصحافة: 91/11 | الترقيم الدولي: 3627-1113 | الطبع: إكوبرانت | التوزيع: سابريس

تنبيه العابد إلى فضل المساجد

قال الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾

(التوبة 17 – 18)

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

(النور الآية 36)

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:

قال رَسُولُ اللَّه ﷺ:

«صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِه فِي بَيْتِه وَفِي سُوقِه خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ»

(رواه البخاري ومسلم)

عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال:

« مَنْ غَدا إلى المسْجد أَوْ رَاحَ ، أَعَدَّ اللَّه لهُ في الجَنَّة نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ »

(متفق عليه)

وعنهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ:

«مَنْ تَطَهَّرَ في بَيْته ، ثُمَّ مَضى إلى بيْتٍ منْ بُيُوت اللَّه ، ليَقْضيَ فَريضَةً منْ فَرائض اللَّه كانَتْ خُطواتُهُ إحْداها تَحُطُّ خَطيئَةً ، والأُخرى تَرْفَعُ دَرَجَةً »

(رواه مسلم)

عن أَبي موسى ﷺ قَالَ :

قال رسولُ اللَّه ﷺ:

«إِنَّ أَعْظَمَ الناس أَجرًا في الصَّلاة أَبْعَدُهُمْ إِليْها ممْشًى فَأَبْعَدُهُمْ والَّذي يَنْتَظرُ الصَّلاةَ حتَّى يُصليها مَعَ الإمام أَعْظَمُ أَجراً منَ الذي يُصلِّيها ثُمَّ يَنَامُ »

(متفقٌ عليه)

عن بُرَيدَةَ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال :

« بشِّروا المَشائينَ في الظُّلَم إلى المساجِدِ بالنور التَّامِّ يَوْمَ القيامَة »

(رواه أبو داود والترمذي)

عنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ

عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ:

«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَة رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِد ، وَرَجُلاَن تَحَابَّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْه وَتَفَرَّقَا عَلَيْه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصب وَجَمَال فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفقُ يَمينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَاليًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

(أخرجه البُخاري)

تجليات الخوف من الله في حياة رسول الله ﷺ وأثر ذلك على أمته

لقد كان إمام الهدى، وسيد الأولين والآخرين، أشد الناس خوفا من الله، وأعظم خشية لله ﷻ، حتى قال عن نفسه ﷺ: «أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له». (صحيح البخاري ومسلم)، ووصفه رب العزة والجلال بالخوف والخشية فقال: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: 16)، والشواهد الكثيرة، والمواقف الجليلة من السنة المطهرة تدعم هذه الشهادة القرآنية، وهي مواقف كثيرة جدا منها:

حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء:41) قال لي كف أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان".(صحيح البخاري)، وفي رواية لمسلم "رفعت رأسي أو غمزني -طعنني بأصبعه- رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل.(صحيح مسلم)

وعن مطرف عن أبيه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز، كأزيز المرجل من البكاء" (رواه أبو داود في سننه وأحمد في مسنده). (أزيز المرجل: أي صوته، والمرجل بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم: قدر من نحاس يطبخ فيها)، والمراد أن جوفه وقلبه ﷺ يغلي كغليان القدر الذي يطبخ فيه من شدة الخوف من الله والبكاء عليه.

وعن أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: إني أرى مالا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت -صاحت- و حق لها أن تئط، ما فيها أو ما منها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا، و ما تلذذتم بالنساء على الفرشات، و لخرجتم إلى الصعدات -الطرقات- تجأرون إلى الله، والله لوددت أني كنت شجرة تعضد "(رواه الحاكم في المستدرك).

هذا سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وهو أحب خلق الله إلى الله... يقول هذا، فماذا نقول نحن؟

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ..﴾ (إبراهيم: 38)، وقول الله في عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: 120).

فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله ﷻ يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: "إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك". (صحيح مسلم)

الرسول ﷺ يبكي خوفا على أمته لا خوفا على نفسه، فهلا رجعنا إلى سنة رسول الله؟.

ويخرج ﷺ يوما ليشيع جنازة أحد أصحابه -رضوان الله عليهم- فيجلس على شفير القبر، -شفير القبر: طرفه- ويبكي، حتى ابتل الثرى من كثرة البكاء، ثم توجه إليهم قائلا: «يا إخواني لمثل هذا فأعدوا» (رواه ابن ماجه).

رسول الله يخاف من لقاء الله.. رسول الله يخشى مولاه، وهو من هو في العبادة والاجتهاد.. ونحن المقصرون، ونحن الغافلون، نرتكب المعاصي ليلا ونهارا، سرا وجهارا ولا نبالي؟

وقد كان لخوف رسول الله من الله الأثر البالغ، في حياة أصحابه الكرام، وأتباعه الذين جاءوا بعده، الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على اتباعه ﷺ، فتخرج على يديه رجال كثيرون، يخشون الله ويخافون عذابه، ومن هؤلاء الرجال:

أولا: أبو بكر الصديق ﷺ:

لقد أبصر ﷺ طائرا على شجرة، فقال: "طوبى لك يا طير، تاكل الثمر، وتقع على الشجر، لوددت أني ثمرة ينقرها الطير" (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

وعن الضحاك قال: رأى أبو بكر الصديق طيرا واقعا على شجرة، فقال: طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك، تقع على الشجرة وتأكل من الثمر، ثم تطير وليس عليك حساب، ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأدخلني فاه . فمه . فلاكني، ثم ازدردني ، ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا. (رواه البيهقي في شعب الايمان)

ثانيا: خوف عمر بن الخطاب ﷺ:

مما ورد في خوف عمر ﷺ قولته المشهورة: "يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت كأسمن ما يكون، زارهم بعض من يحبون، فذبحوني لهم، فجعلوا بعضي شواء، و بعضي قديدا، ثم أكلوني و لم أكن بشرا". (رواه البيهقي في شعب الايمان).

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئا، ليت أمي لم تلدني! ليتني كنت منسيا.

وكان يسير يوما ويقرأ القرآن، يقرأ سورة الطور، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (الطور: 6)، بكى واشتد بكاؤه، حتى مرض شهرا كاملا من تأثير هذه الآية، وعاده الصحابة شهرا..

ومما أثر عنه ﷺ أنه كان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء .

ثالثا: خوف عثمان بن عفان ﷺ:

كان ﷺ إذا وقف على القبر يبكي، حتى تبتل لحيته، ويقول: "لو أنني بين الجنة والنار، لا أدري إلى أيهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادا، قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير".

رابعا: خوف عمر بن عبد العزيز:

كان عمر بن عبد العزيز إذا صلى الصبح، أخذ المصحف في حجره ودموعه تسيل حتى تبتل لحيته، فكلما مر بآية فيها تخويف رددها، فلا يتجاوزها من كثرة البكاء حتى تطلع الشمس.

خامسا: خوف الإمام الشافعي:

لما دخل عليه الإمام المزني وهو في علته التي مات فيها، قال له: كيف أصبحت يا إمام؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلا، ولإخواني مفارقا، ولكأس المنية شاربا، ولسوء عملي ملاقيا، وعلى ربي واردا، ولا أدري نفسي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟ ثم بكى وقال:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب سيدي
تجود وتعفو منة وتكرما
فلولاك ما يغوي إبليس بعابد
كيف وقد غوى صفيك آدما

هكذا كان رسول الله ﷺ يخاف من ربه، وهكذا كان حال الصحابة ومن جاء بعدهم يخافون من ربهم، ويقتدون بنبيهم، وعلى درب ونهج هؤلاء يجب أن نسير.

ذ رضوان طلوبي

أيها المؤمنون: هذا نبع نبينا، فأين الواردون؟

الخطبة الأولى:

....

عباد الله: حديثنا في هذا اليوم السعيد تَتلذذ به الأسماع وترق له الأفئدة وتلين به العواطف، حديثنافي هَذا اليوم السعيد عن عَلَم لا كالأعلام وسيرة لا كالسِّيَر، حديثنافي هذا اليوم السعيد عن صفات لا تدانيها صفات، حديثنافي هذا اليوم السعيد عن شذرات تزيد الحب حبا، والقلب قربا؛ تجدد الإيمان، وتعضد الولاءَ، وتُثْمِرُ الاتِّبَاعَ.

أيها المؤمنون: نتحدث اليَوْمَ عَنْ قائد فَذٍ وسَيِّد وعَظِيم...

نتحدث اليوم عن قُرَّة أَعْيُننا، قالَ عَنْهُ رَبُّنا: ﴿وما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

نتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي تَحِنُّ إِلَيْهِ قُلُوب المؤمنين...

نتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي تَطِيبُ به نفُوس الصالحين... نتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي تَقَرُّ به عُيُون المُصلحين...

نَتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي تَسيلُ دُمُوعُ العاشقِينَ لِذِكْرِه ... نتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي بَكَى الجَمَلُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ وشَكَى إِلَيْهِ ثِقَلَ أَحْماله ...

نتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي حَنَّ الجِذْعُ اليابِسُ لِفِراقِه.

نتحدث اليوم عن سيدنا مُحَمَّدٍ الذي أَنَّ الجِذْعُ أَنِينَ الصَّبِيِّ حِينَ مَسَحَ عَلَيْهِ ﷺ.

عباد الله: أيها المؤمنون... إن مَكارِمَ أَخْلاقه ﷺ دَلِيلٌ عَلى عُلُوِّ شَأْنه، وإن أوصافَ الحبيبِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ تَدْفَعُنا لِزِيادَةِ تَعْظِيمِه وتُرَغِّبُنا في مَحَبَّتِه.

أليس حُسْنُ المُعاشَرَة، ولِينُ الجانب، وبَذْلُ المَعْرُوف من أخلاقه؟ أليس إِطْعامُ الطَّعام، وإِفْشاءُ السَّلام، وعِيادَةُ المَرِيض، وتَشْيِيعُ الجَنازَة من سماتِه؟

أليس حُسْنُ الجِوار، والعَفْوُ والإِصْلاحُ بَيْنَ النَّاس، والجُودُ والكَرَمُ من علاماتِ نبوته ورسالته؟

أليس كَظْمُ الغَيْظِ والعَفْوُ عَنِ النَّاس من صفاء قلبه؟

أليس النهي عن سوء الخلق كَالغِيبَة والنميمة والكَذِب والمَكْر والخَدِيعَة والتَّكَبُّر والحِقْد والحَسَد والظُّلْم من صميم دعوته ﷺ؟

عباد الله: حين نتحدث عن رسول الله ﷺ فإننا نرجو من العلي القدير زيادة الإيمان ومزيد التعظيم والتبجيل للرسول الكريم، وقَدْرِه حق قدره والتزود بمحبته، وكل ذلك مطلوب شرعا، لكن النتيجة من ذلك طاعته واتباعه وتعظيم أمره ونهيه واقتفاء سنته والثبات على شريعته ومنهجه.

أيها الصالحون: روى الإمام أحمد أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنما بعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق». ولقد وصفه ربُّه جلّ وعلا بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، يقول المفسرون: "رحمة للجنِّ والإنس ولجميع الخلق". وروى الإمام أحمد أنّ رسولَ الله ﷺ وقفَ عند بعير وقال: «أينَ صاحبُ البعير؟» فجاء فقال: "بِعْنِيه"، قال: بل أهبُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّه شَكَا كثرةَ العمل وقِلَّةَ العلَف، فأحسنوا إليه» (رواه أحمد). كيف لا يَكون رَحيمًا وقد أحسَّ برحمته حتى الجمَاد، ففي قصّة جذع النخلة الذي كانَ يتّكئُ عليه وهو يخطبُ أنَّ الجذعَ حَنَّ لرسول الله ﷺ لمّا تَرَكَه، قال الرَّاوي: حَنَّ ذلك الجذعُ حتى سمعنا حنينه، فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه عليه فسكَنَ، وفي روايةٍ: أنّه لما حنَّ احتضَنَه ﷺ وقال: «لو لم أحضنه لحنَّ إلى يوم القيامة» (رواه الدارمي). هذا النبيُّ الكريم بعثه الله مبشرا بالخيرات والمسرَّات، ومحذرا من الشرور والموبقات، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: 45).

له من الخصائصُ الجليلة التي تتَّفق مع مكانته العظمى عند ربِّه ومَنزلته العُليا عند خالقه، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: 75).

هذا الرسول العظيم كانت مهمته الأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وينهى عن القبائح والموبقات، حتى وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: 157).

أما خوفه من ربه وخشيته وطاعته له وشدة عبادته فذاك شأن عظيم، يقوم الليل إلا قليلا ويُسمَع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، ويصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له: "قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر" فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا» (رواه البخاري ومسلم). قام ليلة فقرأ في ركعة سورة البقرة والنساء وآل عمران ومع كل ذلك فإنه يقول: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: يا رسول الله؛ أقرأ عليك وعليك أنزل؟ !، قال :«إني أحب أن أسمعه من غيري»، "فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ قال: «حسبك الآن»، "فالتفت فإذا عيناه تذرفان" (رواه البخاري ومسلم).

صلى عليك الله يا خير الورى
وهمت عليك سحائب الرضوانِ.

هذا الحبيب يا محب، وهذه بعض القطوف من شمائل النبي الرؤوف، بحر من الحب لا ساحل له، وفضاء من الخير لا منتهى له.

عباد الله: إن شمائل المصطفى ﷺ لا تحدها الكلمات ولا توفيها العبارات، وحسبنا من ذلك الإشارات.

وإن على أتباعه أن يتربوا على سيرته، وأن يتخلقوا بخلقه، ويتبعوا هديه ويستنوا بسنته، ويقتفوا أثره، فما عرفت الدنيا ولن تعرف مثله. وإن لدينا نحن المسلمين من ميراثه ما نفاخر به الأمم، ونسابق به الحضارات.

أيها المؤمنون: هذا نبع نبينا فأين الواردون؟ وهذا المنهل فأين النائلون؟ ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وفي سنة سيد المرسلين،ونفعنا بما فيهما من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة الثانية:

....

عباد الله: لقد حازَ نَبيُّنا خِصال الكمالِ التي تفرقت في الأنبياءِ كُلِّهم واجتَمَعت فيه، وتخلَّق بجميع أخلاقهم ومحاسنهم وآدابهم حتّى صارَ ﷺ أكملَ الناس وأجمَلَهم وأعلاهم قَدرًا وأعظمَهم محلاً وأتمَّهم حُسنًا وفضلاً. عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: "قامَ النبيّ ﷺ

فقال: «أتاني جبريلُ فقال: قلَّبتُ مشارقَ الأرض ومغاربها فلم أرَ رجُلاً أفضَل من محمد»"، (رَوَاه البيهقيّ وأبو نُعيم والطَّبراني).

عباد الله: إننا أتباع رسول هو أفضل الخَلق خَلقًا وخُلقًا، أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبه، وآواه فهَداه، وأعلى ذكره، فقال جل وعلا: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. لنستمع إلى جعفر بن أبي طالب وهو يصف رسول الله ﷺ أمام النجاشيّ فيقول: "أيّها الملك، كنّا في جاهليّة؛ نعبُد الأصنام، ونأكل الميتةَ، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوارَ، يأكُل القويّ منّا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعَث الله إلينا رَسولاً نعرف نَسَبَه وأمانَتَه وعَفافَه، فدعا إلى الله لنوحِّدَه ونعبدَه ونخلع ما كنّا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، يأمُرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصِلَة الأرحام وحُسنَ الجوار والكفِّ عن المحارم والدِّماء، وينهانا عن الفواحش وقولِ الزور"..إلى آخر قوله.

هو ﷺ أجودُ الناس وأكرمُهم وأسخَاهُم عطاءً، يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، زهد في هذه الدنيا زُهدًا لا نظيرَ له ولا مثيل، يمرّ الشهر والشهران وما أُوقد في أبياتِه نارٌ، إنما عيشه الماء والتّمر، متواضعٌ، متقشِّفٌ، يدخل عليه الفاروق يومًا فيجده ﷺ جالسًا على حصير عليه إزارٌ ليس عليه غيرُه، وقد أثَّر في جنبهِ، ويرَى قليلاً من الشعير في مسكنه، فيبكي عمر، فيسأله النبيُّ ﷺ عن سبب بُكائه فيقول: يا نبيَّ الله، ما لي لا أبكي وهذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبك، وهذه خزانتُك لا أرى فيها إلاّ ما أرى من الشعير، وذاك كسرى وقيصَر في الثمار والأنهار، وأنت نبيُّ الله وصفوته، وهذه خزانتك؟! فقال النبي ﷺ: «أمَا ترضى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدنيا»؟!

وأما حفظه ﷺ لكرامة الإنسان فقد بلَغَت مبلغًا عظيمًا وشأنًا كَبيرًا، قال أنس رضي الله عنه: "خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين ما قال لي: أُفّ قط، وما قال لشيء صنعتُه: لِمَ صنعته؟ ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه". يقف للصَّغير والكبير والذَّكر والأنثَى حتى يسمَعَ كلامَه ويَعرض مسألته ويقضي حاجته، يزور المرضى ويخَالط الفقراء ويصَادق المساكين، بعيدٌ عن التكبّر والتفاخر والتّباهي، عَطوفٌ على الأطفال والصغار، يسلّم عليهم ويقبِّلهم ويحملهم ويداعبهم ويلاطفهم، ويقول:«مَن لا يَرحم لا يُرحم»، محبٌّ للتيسير والتسهيل والسماحة، وما خُيِّر بَين أمرَين إلا اختَار أيسرَهما ما لم يَكن إثمًا.

مَشهورٌ بالحياء، قال أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه: "كان ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عَرفنَاه في وجهه".

عباد الله: هذه بعض مزايا نبينا وهذه نتف من بحر لا ساحل له من التعاليم والتوجيهات الربانية التي جاء بها ﷺ، فما دورنا نحن أتباع النبي الكريم والرسول العظيم؟ وما هي واجباتنا وقد ورثنا هذا الخير العميم؟

واجبنا أن نبرهن بسلوكنا وأخلاقنا عن صدق إيماننا بهذا الرسول الكريم ودينه العظيم، حتى يعلم العالَم أن الخيرَ كل الخير يكمن في هذا الدين وفي أخلاق هذا الرسول الأمين، فبالسلوك الحسن وبالعمل بأخلاق رسولنا ﷺ دخل الدينَ كثيرٌ من الخلق؛ لِما رَأَوهُ في أخلاق المسلمين ومعاملاتهم.

واجبنا اليوم أن نحمل الرسالة الخالدةَ ونبلغها بكل أمانة وبكل الوسائل المتاحة، لاسيّما والعالَم اليومَ يعاني من وَيلات الحروب والدمار، والغش والخديعة والمكر والفسق والمجون...

فَأَحْلَمُ النّاس نبينا، وأَشْجَعُ النّاس رسولنا، وأَعْدَلُ النّاس زَعيمنا، وأَعَفُّ النّاسَ أسوتنا، وأَجْوَدُ الناسَ قدوتنا وأَعْقَلُ الناسَ قائدنا، وأَشَدُّ النّاسَ حَياءً محمدنا ﷺ. فلنَباهي به من حونا ولنَقدمه للعالم حلا لمشاكلنا ونبراسا لدروبنا وبلسما لأسقامنا...

اللهم اشرح صدورنا بمحبة نبينا ، واشف صدورنا ممن آذانا فينبينا، اللهم ارزقنا طاعة رسولك محمد ﷺ وإتباع سنته .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل

محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

د . عبد الحميد الرازي

نصوص الإعجاز القرآني (15)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(نصوص أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت322هـ))

(1)

«...ولكنا نحتج عليهم بما هو قائم في العالم من معجزة محمد ﷺ، مشهور واضح، وبرهانه معه، يشهد أنّه ليس من فعل السحرة، وأنّه ليس في وُسع المخلوقين أن يأتوا بمثله، ولا يقدر على دفعه إلا معاند؛ لأنّ فعل السّحرة يبطل ولا يثبت في العالم، ومعجز محمّد ﷺ، الذي هو القرآن، قد خلد على الدّهر، ويزداد قوّة على مرور الأيام.

وسوف نكشف عن البرهان فيه؛ ليعلم الملحدون أنّ الأمر كما دعا إليه ﷺ العرب حين قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (الأنفال: 31)، فقال الله ﷻ ردّا عليهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13) ثم خفف المطالبة فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 22)، ثم عرّفهم عجزهم، فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 23)، فقوله ﴿فَإِنْ لم تفعلوا﴾، يعني أنّهم لم يفعلوا ما ادّعوا أن يأتوا بمثله، وقوله ﴿ولن تفعلوا﴾ أي لا تفعلون فيما بعد أبدا. ثم عرّفهم أن ذلك ليس في وسع الخلائق، فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88).

وقد قدّمنا القول: إنّ الملحد لم يخطئ سنّة من تقدّمه حين زعم أنّه يأتي بألف مثله، فانّه لم يحصل من هذه الدّعوى على أكثر من انصار في جملة من ذكره الله حيث يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: 94).

على أنّا نقول في جوابه حين زعم أنّ الشّعر والخطب والسّجع وغير ذلك هو مثل القرآن، أنّه قد أحال في هذه الدّعوى؛ لأنّ الذي يجمعه القرآن لا يجمعه شيء مما ذكره في ظاهر اللّفظ دون القوة العظيمة التي هي فيه... والقرآن يجمع هذه المعاني كلّها التي هي في الشعر والخطب البليغة والسجع في ظاهر الأمر، دون سائر الأسباب التي يجمعها. ونحن نذكرها ونشرح الحال بها إن شاء الله، فنقول: إنّ العرب اشتبه عليهم الأمر فيه؛لأنّه جمع هذه المعاني كلّها...فهكذا مرّة شبّهوه بالشعر، ومرّة شبّهوه بالخطب البليغة؛ لما فيه من إيجاز القول وسهولة الألفاظ وإحكام المعاني، ومرّة شبهوه بسجع الكهّان؛لما فيه من مشاكلة للسّجع، ولأنّ الذي كان يخبر به محمّد صلى الله عليه وسلم من الأمور الغائبة كان يصّح...فمن أجل ذلك شبهّوا القرآن بسجع الكهّان، وقالوا لرسول الله ﷺ:هو كاهن.

كما ذكرنا أنّه كان يخبر بأمور غائبة ثم تصّح، فاشتبه على العرب أمر القرآن: فمرّة قالوا هو شعر، ومرّة قالوا: هو سجع الكهّان، ومرّة قالوا: هو بلاغة وفصاحة، ولو شئنا لقلنا مثل هذا.

ولما أعيتهم الحيل ولم يدروا من أيّ صنف هو، اجتمعوا وتشاوروا في ذلك وتدبّروا فيه؛ فانتدب الوليد بن مغيرة المخزومي وكان مبجلا فيهم، فقال: قد تدبّرت كلام محمد وما هو إلا سحر يؤثر، ألا ترونه كيف يأخذ بقلوب الناس؟! فقالت قريش: صدقت والقول ما قلت؛ واتّفقوا بعد ذلك على أنّه سحر.

وكان هذا التّشبيه عندهم أوكد وأبلغ من سائر ما قالوا فيه: إنّه شعر وخطب وسجع.... فالقرآن فيه هذه المعاني التي ذكرناها ويجمعها. وسائر كلام العرب كلّ نوع هو في فن واحد.

ثم في القرآن من الأمور الجليلة التي لا يقوم الدّين والدّنيا وسياسة العالم إلا بها: مثل الدّعاء إلى توحيد الله ﷻ، والحثّ على عبادته وتحميده وتسبيحه وتهليله وتمجيده والثّناء عليه بما هو أهله... والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والتّرغيب في الجنّة والتّرهيب من النّار... والأمر بمكارم الأخلاق ومعاليها... والنّهي عن الفحشاء والمنكر والبغي... وإقامة الحدود... وفيه أخبار القرون الخالية وأنباء القرون الآتية وضرب الأمثال. فجمع النبي ﷺ في هذا الكتاب من هذه الشرائع والآداب التي قد ذكرناها إلى غير ذلك ممّا يطول به الشرح، بتأييد من الله ﷻ ووحي منه إليه؛ وهو أمّيّ ،كان لا يقرأ كتابا قبل ذلك ولا يكتبه، ولم يكن يخالط الملوك والرّؤساء، ولا كان يختلف إلى العلماء والأدباء كما وصفه الله ﷻ فقال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: 48).

وهذا من معجزاته أن يأتي ﷺ بمثل هذه الأسباب الجليلة الخطيرة، ويجمعها في كتابه، وهو أمّيّ لم يقرأ ولم يكتب قبل أن أوحي إليه، فجرى على تلك السّنّة، ولو أراد أن يكتب لفعل؛ فإنّ الذي أورده في كتابه من ذكر حروف المعجم التي لا يعرفها الأميّون يدل على ذلك.

فأين الملحد المعتوه حين زعم أنّه ليس في القرآن فائدة ولا نفع ولا ضر؟ ثم قرنه بالمجسطي وكتب الهندسة والطبّ والمنطق وغير ذلك وجعل هذه الكتب نظائر للقرآن؛ بل فضّلها عليه، وأبطل فضائل القرآن.

فمن لم يؤمن بشرائعه وبما في إقامتها من النّفع الذي وعد الله القائم ينبها من الثّواب العظيم، والضّرّ الذي أوعد التّاركين لها من العذاب الأليم، كيف عمي عن الذي فيه من مكارم الأخلاق والأمور الجليلة التي ساس بها الأنام؟!

وكيف لم يتدبّر أمر الكتب التي ذكرها، التي ليس فيها من التّدبير ما يسوس به الإنسان أمر بيت هو أهله وولده، كما قد قامت سياسة العالم بأحكام القرآن وحدوده؟! فإنه ليس في هذه الكتب إلا آداب إن تعلّمها الإنسان سمّي تأدّبا بنوع من الأدب، وإن لم يتعلّمها لم يضرّه ذلك شيئا.

ولو أنّ إنسانا عاش ألف سنة لا يعرف المجسطي وإقليدس وكتب الهندسة والطبّ والمنطق، ولم يكن منجّما ولا مهندسا ولا طبيبا، لكان مثاله مثال من لا يكون بنّاء ولا خيّاطا ولا حائكا ولا صائغا، ولكان يكفي ذلك ولا يضرّه تركت علّمه ذلك والنّظر فيه في دينه ولا مروءته.

وجميع النّاس لا يستغنون عن أحكام القرآن والشّرائع، ولا بدّ لكلّ واحد أن ينظر في شيء منها مقدار ما يكون داخلا في جملتها، كما أنّ كلّ مسلم لا بدّ له أن يحفظ سورتين من القرآن، وكذلك كلّ ملحد متستّر بالإسلام،لا بدّ له من ذلك، وإن ترك ذلك طرفة عينه لك في أولاه وأخراه».

[أعلام النبوة: أبو حاتم الرازي، ص:234-240]

د. الحسين زروق

علل الخطاب الإسلامي المعاصر وآفاق علاجها (10\2):

التأخر في السبق إلى العقول

بعد المقدمات التي قدمنا بها لهذه المجموعة من المقالات، نتناول في مقالنا هذا أولى العلل التي أصابت خطابنا الإسلامي المعاصر وهي علة: (تأخر السبق إلى العقول).

وأحب أن أمهد لبيان حقيقة هذه العلة بكلمات هي: أن هناك احتلالا فكريا للعقول يشبه بالضبط احتلال دولة ما بجيشها وقتها أرضا ما والاستيلاء عليها، هذا الاحتلال الفكري والمعلوماتي للعقول تقوم به قوى ومؤسسات عالمية ومحلية، للسطو على فكر أمة والسيطرة على عقول أبنائها،وأي أمة سبقت فقامت بهذا الاحتلال تحكمت فيمن احتلتهم وسيطرت عليهم توجيها وتأثيرا، وقد درسنا ودرّسنا مقررا دراسيا جامعيا بعنوان " الغزو الفكري" وصنفت في بيانه المصنفات المعاصرة، وقد غلب على هذه الدراسات الجانب الوصفي، على حساب جوانب العلاج وسبل المواجهة، والعقل الإسلامي تحتله -يقينا- في كثير من جوانبه وقضايا منصات غير إسلامية، أوصلت إليه منتجها الفكري، وأقنعته بمضامين مشروعاتها وسبقت الدعاة والإسلاميين في هذا الشأن، حتى غدا صنيع الإسلاميين ليس إلا رد فعل، ومحاولات الدفاع، ومحاولة علاج ما سبق وترسخ في العقول الأمة من فعل الغزو والاحتلال الفكري.

خطورة السبق إلى العقول:

إن السابق سابق كما يقولون، لأنه يستولي ويثبّتُ وجوده، ويتحكّم، ثم يقرر ويوجه، ثم يقود وينطلق، ويقاوم كل من يحاول الوصول إلى المساحات التي احتلها وتمكن منها،وقد قال الشاعر يزيد بن الطثرية:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكّنا.

ولو قدر للسابق وأن جاء بعده أحد يريد أخذ موقعه فلابد له من خمس خطوات تمثل نوعا من العمليات الشاقة:

طرد المحتل.

تطهير الأرض بعد إخراج المحتل منها، ومحو آثاره الخبيثة.

ثم تهيئة الأرض للبناء الجديد.

ثم البناء على تلك الأرض.

ثم بذل الجهد في حراسة ما بُني.

ولو سبق الدعاة إلى العقول واحتلوها قبل غيرهم لكُفُوا الخطوات الشاقة وهي جهد طرد المحتل، وجهد تطهير العقول بعد إخراج المحتل منها، وكُفُوا جهود محو آثاره الخبيثة.

وأخطر ما في هذه القضية أن الدعاة والمصلحين لو نجحوا في الخطوات الخمسة المذكورة، فلا يأمنون أن يغرف هؤلاء الذي انتشلهم الدعاة من معينهم القديم الملوث.

السبق إلى العقول ضرورة شرعية وواقعية:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 249).

وهذا الصراع والتدافع يسبق فيه الطرف المتيقظ ويُدفع الغافل غير اليقظان، فتحتل أرضه وعقله واقتصاده وسائر أحواله، وتلك سنة الله الجارية في خلقه التي لا تتوقف ولو حاول أحد الفرار والهرب منها فستلحقه وتصيبه بسهامها وقد قال ابن الوردي:

ليس يخلو المرء من ضدّ
ولو حاول العزلة في رأس الجبل

فطالما وجد حق وباطل وخير وشر، فلا بد من التدافع.

إذا اتضح ما سبق فلابد من يقظة الدعاة لمقتضى هذه السنة الصارمة في الخلق، ليقوموا بدفع أهل الباطل بقوة قبل أن يدفعوهم، وبناء على ذلك لابد من دراسة "خطة عمل" جادة في إطار السباق إلى العقول، يستشرف فيها الدعاة آفاق المستقبل لتحقيق أمرين مهمين:

أولهما: السبق الكبير والكلي لعقول الأجيال الصغيرة والشابة التي لم يتمكن الخصوم بعد من احتلالها والسبق إليها - مع حرصهم على ذلك - هذا السبق يقتضي ضرورة استيعابهم في الخطاب الدعوي، ووصول الدعاة إلى هذه الأجيال الصغيرة والشابة بكل وسيلة شرعية ممكنة، وهذا يقتضي تطوير الوسائل والنزول إلى محاضنهم ومنتدياتهم، ومعرفة اهتماماتهم وفتح الأبواب لهم والتواصل معهم ومنحهم المساحة الأكبر من العناية قبل الكبار الذي احتلتهم منصات كثيرة، ولعل هذا يفسر لنا سر عناية الرسول ﷺ بالشباب حتى كان أكثر الأوائل من أصحابه الشباب، فما قامت دعوة ولا صلح مجتمع ولا انتصرت أمة إلا بصلاح شبابها. ولا زلنا نحن الدعاة غير قادرين على السبق إلى عقول هذه الشريحة، مما يحتم عقد ورش وندوات ومؤتمرات ونقاشات وإجراء بحوث لصياغة طريقة عمل يصل الدعاة من خلالها إلى صناعة خطابنا الإسلامي بصورة تجعلنا سابقين إلى هؤلاء قبل غيرنا، وهذا يحتم الخروج من الأنماط التقليدية في الخطاب الإسلامي التي هي في الحقيقة منفصلة إلى حد كبير عن الواقع ومشكلاته وقضاياه.

ثانيهما: بذل الجهد الدعوي في إيقاف النزيف الحاصل للعقل المسلم بحيث نوقف احتلال العدو لما تبقى من مساحات العقول المسلمة، ونحدد المعاني التي ينبغي أن نؤسسها ونرسخها في عقول الكبار مستقبلا قبل أن يهجم العدو ويحتل ما تبقى من عقولهم، مع خطة موازية لإزالة آثار الاحتلال السابق لعقولهم بمحو الأغاليط والأكاذيب والأباطيل التي علقت مع طول الزمن وإهمال الدعاة.

وهنا لابد من الإشارة إلى ضرورة ألا ينفصل العلماء والدعاة والمصلحون عن مسارين مهمين:

الأول: مسار الإعلام الذي ما زالت تسيطر عليه حفنة ممن يدعون بالمثقفين الذي هم غالبا أبواق المستشرقين وخصوم الإسلام، وأصبحوا من خلال هذه الوسائل نجوما تشرئب إليهم أعناق الأجيال.

وهنا لابد من أن يستخدم الدعاة الوسائل التقنية الحديثة التي يرتادها الجميع الآن وهي (وسائل التواصل الاجتماعي بكافة ألوانها وصورها"، وعدم الاكتفاء بالوسائل التقليدية من الخطب والدروس والمواعظ والكتب.

الثاني: مناهج التعليم فلا يصح أن يكون الدعاة بمعزل عن تلك المناهج، وضعا وتأسيسيا وإشرافا، ولا يقتصر ذلك على كتب ومناهج التربية الإسلامية، بل لابد من مراجعة القيم الكامنة في كل مقرر ودراسة مدى موافقته أو مخالفته للإسلام، ومعلوم أن عدونا من خلال أذنابه وأبواقه وعملائه لا يزال يعبث ويغير مناهج التعلم في بلادنا، بعد أن سبق واحتل هذه المناطق الخطيرة.

د. أحمد زايد

ذكرى المولد النبوي الشريف

تقديم:

في هذه الأيام؛ تبتهج القلوب، وتسر النفوس، وهي تتذكر مولد خير الأنام، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، الذي من الله تعالى به على المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(1). فهو منة من الله على المؤمنين، بل رحمة للعالمين، قال عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(2). وقال ﷺ عن نفسه: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»(3).

نعم إنه الرحمة المهداة! والنعمة المسداة! لقد كانت الدنيا تموج بالظلم والظلمات، والفحش والمنكرات.. واستحق العالمون جميعا المقت من خالقهم، والغضب من بارئهم.. وبعد هذا الليل القاتم والظلام الدامس، يطلع الفجر وتشرق الأنوار، ويولد الهدى ويبعث سيد ولد آدم، فتضيء الكائنات ويتبسم الزمان ويزدهي المكان.. قال شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسّم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي ... والمنتهى والسدرة العصماء(4)

ولقد وصف النبي ﷺ بلسانه الأجواء التي بعث فيها كما في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي ، أن رسول الله ﷺ، قال: «.. وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ..»(5).

فحري بنا وبالمسلمين أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها، أن نشكر الله تعالى على نعمة بعثة المصطفى ﷺ الذي أنقذ الله به من الضلالة وهدى به بعد الغواية... ونحتفي بميلاده، ونتذكر أيامه، ونتدارس سيرته، ونتبع سنته، ونمتثل هداه... وإن كان الواجب فعل ذلك على مدار العام ولكن في الذكرى منفعة للمؤمنين...

ما يجب استحضاره في ذكرى مولد الرسول ﷺ:

في هذه الذكرى من كل عام، نتذكر الكمال البشري الذي أوتيه النبي الخاتم ﷺ، والفضائل الأخلاقية التي أكرمه الله تعالى بها، فقد كان ﷺ إنسانا مع الناس، وكان بين الناس رجلا، وكان بين الرجال بطلا، وكان بين الأبطال مثلا... يتعاون في أمور العيش وتكاليف الحياة مع أهله وجيرانه وسائر قومه، يواسي قرابته، ويحسن إلى خدمه، ويكرم ضيفه، ويبر بإخوانه وأصدقائه، ويعامل غير المسلمين بالحسنى... كيف لا وقد زكى الله أخلاقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(6). وحين سئلت عائشة عن أخلاقه ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»(7).

بهذه الكلمات لخصت عائشة رضي الله عنها أخلاقه وعاداته. وبعبارة أخرى كانت حياته اليومية صورة صادقة للتعاليم القرآنية وتطبيقا عمليّا صحيحا لتلك الأخلاق كلها التي ينبغي لكل مسلم أن تكون مثله الأعلى.

في هذه الذكرى نتذكر أيضا مباشرته بنفسه لأعمال كثيرة وأشغال متنوعة، كمساعدته لأزواجه، وقيامه بالخدمة في بيته، عن عائشة رضي الله عنها، أنها سئلت: ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: "مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَتْ: كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ"(8). وفي حديث آخر: "كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ"(9). ولم يكن ليجد غضاضة في أي عمل يقوم به. لقد اشتغل مثل عامل عادي في بناء مسجد المدينة، وشارك بيديه الشريفتين في حفر الخندق لحماية المدينة من الأحزاب المتحالفة، وهو يردد قوله: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ... فأكرم الأنصار والمهاجره»(10)...

وباختصار، فأنه ﷺ لم يزدر أي عمل من الأعمال، مهما كان حقيرا، بالرغم من سمو مكانته ورفعة قدره لكونه رسولا يوحى إليه، وأميرا يعقد الألوية، وقائدا يسوس الدولة...

ونتذكر أيضا حسن كلامه، وبلاغة حديثه، فقد كانت كلماته قليلة المبنى عظيمة المعنى، يستطيع السامع أن يحصيها، بيد أنه أفصح العرب، وآتاه الله جوامع الكلم، كما في الصحيح قال ﷺ: «نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم»(11).

ونتذكر أيضا بساطته ﷺ في الطعام والشراب واللباس، فكان يأكل الرّطب، والشعير، والقمح، واللحم، ويشرب اللبن وأي شيء يوفق إلى الحصول عليه. وإذا ما دعي إلى طعام أجاب الدعوة في ابتهاج، ولا يمتنع إلا عن المحرم والقبيح وما تعافه نفسه... ويلبس أي ثوب وإن كان خشنا أو مرقعا مع حرصه على نظافته وطهارته، يحب الاغتسال والطيب والسواك وهو القائل: «إنما حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»(12).

وكان ﷺ في أحواله كلها ودودا كريما، رؤوفا رحيما، يصدق الحديث، ويؤدي الأمانة، ويعين الضعفاء... وقد ذكرته أمنا خديجة ببعض صفاته الخلقية حين أخبرها بخوفه عند بدء نزول الوحي عليه قائلا: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: "كلا، والله لا يُخزيك الله أبدًا؛ إنك لتَصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكسبُ المعدومَ، وتَقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق"(13)...

لقد كان لصدى أخلاقه ﷺ ذيوع وانتشار، حتى شهد بها ألد خصومه، فقد سأل هرقل -عظيم الروم- أبا سفيان قبل أن يسلم: "هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال هرقل: فهل يغدر؟ قال: لا، قال: بماذا يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال هرقل: فإن كان ما تقول حقا فَسَيَمْلك موضع قدمي هاتين، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه"(14).

واجبنا نحو رسول الله ﷺ:

وفي هذه المناسبة، مناسبة الاحتفال بذكرى مولده ﷺ، يتجدد الشوق والحنين، وتسمو مشاعر الإيمان واليقين، بعظمة هذا النبي الكريم ﷺ فتنبض القلوب بحبه، وتلهج الألسنة بذكره، وتتحرك الجوارح باتباعه، كيف لا؟ وحبه كمال للإنسان، وعلامة من علامات الإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(15).

وكيف لا نحبه وهو شفيعنا، وأحب إلينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا، وهو الحريص علينا الرؤوف الرحيم بنا، قال جل شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(16).

نعم، يرحم الصغير والكبير، والزوجة والولد، والأقارب والجيران، والضعفاء والمساكين، وكانت حياته ﷺ رحمة للناس جميعا، بل رحمة للخلق أجمعين، ولذلك تفاعلت مع محبته كل المخلوقات، وفرحت بمولده سائر الكائنات، حتى رق له الحيوان ولان وحن له واستكان، وأحبه النبات والشجر، فبكى الجذع وحن إليه، وتهادى له الشجر يظلله ويسلم عليه، وقد ذكر رسول الله ﷺ حجرا بمكة كان يسلم عليه قبل البعثة، فقال ﷺ:«إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»(17).

فهلا اقتدينا به في خلق الرحمة والتراحم!!

وأقل ما ننتفع به هو المزيد من محبته ﷺ التي تورث محبة الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(18). والمزيد من الصلاة والسلام عليه لما لهما من فضل عظيم، مع الحرص على الاقتداء بأقواله وأفعاله وأخلاقه، وطاعته في أوامره ونواهيه ﷺ، ونستغل هذه المناسبة لنعلم أبناءنا وناشئتنا ولو قدرا يسيرا من سيرته ﷺ، فهم يعرفون كل شيء عن الرياضيين والفنانين... ويجهلون أبسط الأمور عن نبيهم ناهيك عن أدقها وأجلها، حتى نُذكّرهم بسيرته العطرة ونربطهم برسالته المتميزة وشريعته الغراء، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذكرون رسول الله في كل حين، ويعلمون أبناءهم المغازي والسير، وكان علي بن الحسين يقول: "كنا نُعَلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نُعَلّم السورة من القرآن"(19)... يروون لهم سيرة رسول الله ليزدادوا معرفة به ومحبة فيه، إذ تستحيل محبة ذات أو شيء وهو مجهول...

وختاما، فإن ذكرى المولد النبوي الشريف تعد حدثا مواتيا للاطلاع على ما تركه لنا رسولنا وقدوتنا وإمامنا ﷺ من مكارم الأخلاق ولمعرفته حق المعرفة في جوانب من حياته، فيكون التذكير للاعتبار دافعا كبيرا للمزيد من الارتباط بهُدى المصطفى ﷺ والتشبث بشريعته والعضّ بالنواجذ على سنته... فلا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها...

---

1 – آل عمران/ 164.
2 – الأنبياء/106.
3 – رواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة، حديث رقم:100. وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما».
4 – انظر: (مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول) لمحمد سَعيد رَمضان البوطي ص:28.
5 – رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: -63(2865).
6 – القلم/4.
7 – رواه أحمد في المسند حديث رقم:24601.
8 – رواه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم:5675.
9 – رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم:4876.
10 – رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، حديث رقم:2961.
11 – رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث: -8(523).
12 – رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم:13454.
13 – رواه البخاري في باب بدء الوحي، وكيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ص؟ حديث رقم:3.
14 – رواه البخاري في باب بدء الوحي، وكيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ص؟ حديث رقم:7.
15 – رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: حب الرسول ص من الإيمان، حديث رقم:15.
16 – التوبة/129.
17 – رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ص، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث: -2(2277).
18 – آل عمران/31.
19 – انظر: (مرويات الإمام الزهري في المغازي)، لمحمد العواجي 1/10.

ذ . عبد الرفيع حجاري

"السياسات التهويدية للقدس"

يُعتبر إحتلال أرض فلسطين على يد الغَاصب الإسرائيلي وبشكل خاص في تهويده للقدس، من أشد أنواع الإستعمار العنصري الذي عرفته البشرية في التاريخ المعاصر، هذا المُحتل الإسرائيلي الذي هو نموذج صارخ في مخالفة القوانين والقرارات الدولية والتلاعب بها وبآليات تطبيقها، وفي ممارسة أشنع أنواع التهويد والتزوير بحق الأرض والإنسان في القدس.

فقد عَمد الاحتلال الإسرائيلي منذ احتلاله الشطر الغربي للقدس عام 1948 حتى اليوم على تهويد المدينة القدس، حيث تعرضت المدينة طيلة هذه الفترة لأكبر عملية تهويد على الصعيد الديني والثقافي والديموغرافي، ومحاولة تغيير هوية المكان عبر رواية تاريخية مكذوبة بإقحامها في خط التاريخي للمدينة.

أنتهج الاحتلال الإسرائيلي سياسات تهويدية استهدفت من خلالها المقدسات الإسلامية والمسيحية على حد سواء وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وعمل على حصار الفلسطينيين اقتصادياً وضيّق الخناق عليهم في سكنهم، حتى باتت حياتهم في المدينة ضرباً من الجحيم، وما تنطويه هذه السياسات العامة من أخطار هو تهدد الفلسطيني "الإنسان"، وتهدد المكان "الذاكرة والتاريخ"، في سياق حرب ضروس ضد الحق العربي والإسلامي بالقدس.

ترتكز إستراتيجية الاحتلال على طرد أكبر عدد ممكن من المقدسيين لإحلال أكبر عدد من المستوطنين مكانهم لزيادة نسبة اليهود في القدس وذلك بالاستلاء على أكبر مساحة ممكنة وبالتالي تغيير هوية المكان، ويتم هذا التهويد بفرض حزام أمني محيط بالقدس لعزل المدينة عن المدن الفلسطينية

الأخرى، والحفاظ على المواقع العسكرية المهمة في مرتفعات القدس ومناطقها الحساسة لحماية المستوطنين من جهة، وعرقلة أي نمو عمراني وسكاني طبيعي للمقدسيين وإعاقة تمددهم في محيطهم وبذلك لتفكيك التواصل الجغرافي بين أحياء القدس من جهة أخرى، بهدف تحويل القدس إلى مدينة طاردة للمقدسيين وجاذبة للمستوطنين، أما على الصعيد الخارجي عَمل على ترويج فكرة أن القدس عاصمة لدولة الاحتلال.

تقوم أذرع الاحتلال ومؤسساته المختلفة على تنفيذ هذه السياسات والتي تُرجمت على أرض الواقع باقتحامات الأقصى بشكل شبه يومي مصحوبة باعتداءات عديدة في حق المصلين والمرابطين وحراس الأقصى المتمثلة في التعنيف الجسدي والنفسي، والإبعاد عن القدس والأقصى ومنعهم من الصلاة والغرامات المالية والاعتقال، حيث تفرض سلطات الاحتلال الحبس المنزلي على كثير من المقدسيين لفترات تمتد من عدة أيام إلى عدة أشهر، ويقيد هذا الحبس حرية المقدسيين ويمنعهم من التوجه للمدارس أو تلقي العلاج أو السفر.

ويفرض الاحتلال أحيانا أن يقضي المحكومون مدة حبسهم المنزلي خارج القدس وبعيدا من بيت العائلة.

كما عَمد الاحتلال إلى عرقلة عمل دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس لترميم مباني المسجد الأقصى المبارك وصيانتها، لجعلها آيلة للسقوط أو غير قابلة للاستخدام، وحفر الأنفاق أسفل وفي محيط المسجد المبارك وربط هذه الحفريات المختلفة والتي تتضمن القاعات والأنفاق لتصبح أماكن تستقطب الزوار، لتُستخدم هذه الأخيرة لأغراض سياحية ودينية واجتماعية للترويج لتاريخ يهودي مكذوب.

كما طوت أيضا تلك السياسات تشييد المباني التهويدية كإنشاء مدينة يهودية أسفل البلدة القديمة وفي محيطها، ويطلق على المشروع "تأهيل الحوض المقدس"، والتي تتضمن إنشاء "مدينة الملك داود" المزعومة، وذلك بهدم منازل الفلسطينيين والسماح للجمعيات الاستيطانية بالاستيلاء على منازل الفلسطينيين، بالإضافة إلى منح العطاءات الاستيطانية الضخمة، بهدف حشر الفلسطينيين في أحياء صغيرة غير قابلة للتطور السكاني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، لخنق الفلسطيني سواء كان فردا أو مؤسسة أو جهة قائمة في وجه الاحتلال.

إن الإرادة التهويدية الإحتلالية الإسرائيلية تترجم بالعمل والسياسات يتمّ تطبيقها على أرض الواقع، و بالمقابل ما تزال إرادة المواجهة العربية والإسلامية تتخبط فاقدة البوصلة.

فتيحة عطية
موقع إسلام أون لاين

الجارديان: اليمن بدون صالح أصبح بلدا مختلفا، ولكن لا يمكن التنبؤ بما تخبئه الأيام

مقتل الرئيس السابق على أيدي حلفائه الحوثيين يضع حدا للتحالف غير المستقر الذي أشعل الحرب في عام 2014.

مقتل علي عبد الله صالح، الرئيس اليمني السابق، يزيل أهم شخصية سياسية في البلاد منذ أربعة عقود من معادلة معقدة وصراع غرقت فيه أفقر دول العالم العربي وأثار أسوأ أزمة إنسانية في العالم.

وتمثل وفاته تحولا دراماتيكيا بعد ثلاث سنوات من حرب في حالة من الجمود. وهذا هو الذي جعل الصراع أكثر صعوبة.

وقد كان صالح سببا هاما لدخول اليمن في حرب أهلية. وأدى رحيله المتردد عن السلطة في عام 2012 – الذي أجبره عليه الربيع العربي بعد 33 عاما من الحكم – إلى تولي نائبه المدعوم من السعودية عبده ربه منصور هادي منصبه.

ولكن في عام 2014 صاغ صالح تحالفا غير مستقر وغير محتمل مع أعدائه السابقين، الحوثيين، لتسهيل استيلاءهم على صنعاء، وبالتالي ألزم هادي بالفرار إلى المملكة العربية السعودية.

كان التحالف محكوما عليه بالفشل، وقلة فقط هي التي توقعت أن الرجل الذي وقف مع المتمردين الذين خاض ضدهم ستة حروب بين عامي 2004 و 2011 سيقتل في نهاية المطاف من قبلهم.

وقد استفاد كلا الجانبين من التحالف. فاستخدم صالح قوة النيران الحوثية وقواها العاملة، في حين استفاد الحوثيون من شبكات حكم ومخابرات صالح.

وفي الأسبوع الماضي، تغيرت هذه المعادلة مع محاولة صالح زيادة سلطته في صنعاء، وتبدلت المواقف، وسعى صالح إلى حوار مع السعوديين وحلفائهم، بما في ذلك الإمارات العربية المتحدة.

وكانت هناك تقارير تفيد بأن تفجير صنعاء في الأيام الأخيرة كان يستهدف المناطق الحوثية في خطوة لمساعدة صالح – ولكن ذلك لم يجد نفعا يذكر لمنع المتمردين من قتله.

والآن بدون صالح، سيتم تعزيز قوة الحوثيين – على الأقل في الأجل القصير. " وهناك احتمال أن يضعف جهاز [صالح] بشكل جذري، إن لم يهمش تماما في الفترة المقبلة؛ وهذا سيجعل الحوثيين القوة الرئيسية في شمال اليمن "، كما يقول آدم بارون، زميل زائر في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية.

وقد قال البارون إن الحوثيين يدعون إلى احتفالات ستقام في الميادين العامة يوم الثلاثاء 2017/12/05 ، في أعقاب مقتل صالح مما لا يدع مجالا للشك في أنه بدلا من المصالحة، فإن المتمردين "يدعون للتصعيد".

وكان صالح، وهو ضابط عسكري سابق، قد أصبح رئيسا لليمن الشمالي بعد انقلاب في عام 1978، ولكنه عندما تم توحيد الشمال والجنوب في عام 1990، انتخب أول رئيس للبلد الجديد. وقد شبه مرة استمراره في السلطة ب "الرقص على رؤساء الثعابين".

وقد وصلت الحرب في اليمن إلى طريق مسدود، ومن الصعب أن نقول أن أي طرف هو الذي سيفوز. " فبالنسبة للحوثيين، تعريف الفوز هو مجرد البقاء، وهم يعملون على ذلك؛ وبالنسبة للسعوديين فإن تعريف الفوز هو استعادة الحكومة المعترف بها دوليا ".

"وكان الحوثيون قد قضوا عقدا كحركة تمرد معزولة تقاتل في جبال شمال اليمن. ومجرد القدرة على الاستمرار في صنعاء، ناهيك عن هزيمة صالح، عدوهم التاريخي، يعتبر ضربة كبيرة ".

مخاطر الحرب مرتفعة بالفعل. ففي الشهر الماضي تم إطلاق صاروخ من اليمن باتجاه الرياض جعل ولي العهد السعودي محمد بن سلمان يتهم إيران "بالعدوان العسكري المباشر" من خلال تقديم صواريخ للحوثيين وهي تهمة نفتها إيران بشدة.

ومنذ ذلك الحين أطلق الحوثيون صاروخا واحدا على الأقل على السعودية وادعوا الأسبوع الماضي أن صاروخا أصاب محطة نووية قيد الإنشاء في الإمارات العربية المتحدة، وهو ما نفته الإمارات.

شيء واحد واضح هو أن اليمن دون صالح سيكون بلدا مختلفا، ولكن لا يمكن التنبؤ به حتى الآن.

وقال بارون "حتى عندما يريد الناس اللعب على الأرض في اليمن من الخارج"، فإن الديناميات الداخلية لديها طريقة للتحول بطريقة لا يتوقعها أحد حقا".

الكاتب: جمال خطاب

القدس... هل هي ثمن بقاء ترامب في منصبه؟!

ليست القدس -كما يصفهاالقانون الدولي- مجرد "مدينة محتلة" يطالب أهلها بها، وإلا لأغنى عنها غيرها وأمكنت المقايضة بها، أو ضاع حق أهلها فيها بالتقادم وحكم الأمر الواقع. وإنما القدس شجرة قداسة وبركة تحظى بدليلها من تعاليم السماء؛ ولذا فإنها لا تخضع للمساومات ولا البيع في أسواق السياسة ولا غيرها. فلماذا يجترئ الرئيس الأميركي دونالد ترمب على الاعتراف بالقدس الشريف عاصمة لإسرائيل، متجاوزا خمسين عاما من الدبلوماسية الأميركية التي تجنبت الوقوع في هذه الغلطة، وغاضا الطرف عن تحذيرات أوروبية ودولية -تصل إلى حد الإجماع- من هذا التهور؟!

تجاوز للحد الطبيعي:

حقيقة الأمر هي أن دونالد ترمب رجل أعمال أو تاجر بدرجة رئيس دولة؛ إذ تسيطر عليه عقلية السوق، وتحركه دواعي الربح، ويواجه المخاطر بعقلية التاجر، ويمارس السياسة بقواعد الاقتصاد وأخلاق الاقتصاد؛ وليس أي اقتصاد، بل اقتصاد السوقالمتوحش المفتوح.

"خاض ترمب -منذ وقت مبكر من حياته- عالم المال والأعمال، وامتلك شركات للقمار والعقارات والإنشاءات، وسلسلة متاجر ضخمة وملاعب لرياضة الجولف، وتاجر في الإعلام ومسابقات الجَمال، ثم تطلع إلى المنافسة على منصب رئيس الولايات المتحدة، حتى اقتنصه أخيرا من أفواه السباع، حسب التقليعة السائدة من تشوّف الناجحين في دنيا الاقتصاد إلى الخوض في بحر السياسة؛ ظنا منهم أن النجاح شيء واحد في كل حال.

وحقيقة؛ ليس ترمب أول رجل أعمال يحط في المنصب الأميركي الكبير، بل سبقه إليه -منذ وقت ليس بعيدا- كل من جورج بوش الأب (1989 - 1993) وابنه جورج دبليو بوش (2001 - 2009) صاحبيْ التجارة الواسعة في عالم النفط. إلا أن الرئيس الأميركي الحالي لم يسبق له قبل هذا ممارسة العمل السياسي، أو الإدارة السياسية لأي مدينة أو ولاية أو حزب سياسي أو حتى مكتب فرعي لحزب، كما أن سَمته التجاري ظهر واضحا على سلوكه -دون سلفَيه- في إدارة العمل السياسي، حتى قبل أن يكمل عاما واحدا في البيت الأبيض.

وليس لنا أن نعيب على رجل مارس وظيفة ما لعشرات السنين أن تنعكس على إدارته للدولة؛ فهذا التأثير أمر طبيعي، إذ تنعكس أخلاق رجل الجيش وأستاذ الجامعة والأديب والرجل الحزبي ورجل الدين وشيخ القبيلة، على قراراته السياسية وممارسته لصلاحياته وأدائه لمهامه وتصرفه تجاه الآخرين حين يتولى مسؤولية سياسية. إلا أن تحويل الدولة إلى سوق أو بنك، والعلاقات بين الدول والأحزاب إلى صفقات، والناس وأصواتهم الانتخابية إلى سلع، واعتبار شؤون الدولة كلها اقتصادا فحسب، هي عيوب قاتلة في الممارسة السياسية تلحق تشويها -قد لا يسهل علاجه- بالدولة التي تُدار بهذا الأسلوب. وحجم الإشكالية هنا بحجم الولايات المتحدة؛ فقد عيب على الإسلاميين العرب مثلا أنهم يبرزون ذوي التخصصات الطبية والهندسية في إدارة جماعاتهم السياسية، مما أوقعهم في كثير من المآزق التي نرى بعضها الآن، لكننا نرى هذا العيب أضخم جدا في أميركا حين تنتخب لرئاستها رجل الأعمال ترمب، ولا يشفع لها في هذا أنها دولة كبيرة أو متقدمة؛ إذ إن وضع الرجل غير المؤهل في المناصب الخطيرة لا ينتج إلا نتائج كارثية تتولد عن تصرفاته وقراراته.

سوابق قبل القدس:

منذ البداية؛ سوّق ترمب نفسه لدى الناخب الأميركي على أنه قادم بخبرة اقتصادية ثقيلة، وأنه سيوظف خبرته ودرايته بالشؤون الاقتصادية والمالية لمساعدة مواطنيه على تحسين مستواهم المعيشي وتوفير فرص عمل لهم، ودارت معظم وعوده حينئذ على فتح أبواب تدر على الولايات المتحدة أموالا طائلة، وإغلاق أبواب أخرى تهدر المال وتضيع الفرص الاقتصادية على الأميركيين. بل تطرق الأمر إلى الإدارة الأميركية بالكامل حين قال أثناء حملته الانتخابية: "إننا نحتاج إلى أناس في واشنطنيعرفون كيف يبرمون الصفقات"؛ لذا اختار بعض وزرائه البارزين (مثل وزراء التجارة والخارجية والخزانة) فضلا عن مستشاريه من بين رجال الأعمال، وبعضهم الآخر من رجال الجيش المطواعين؛ ترجمة لهذه الرؤية.

"لو أثبتت هيئات التحقيق الأميركية على ترمب ورجاله تهم التآمر مع روسيا للتأثير في نتيجة الانتخابات الرئاسية الأميركية الأخيرة، وهي الأزمة الأخطر التي يواجهها ترمب؛ فإن هذا لا يقدم لنا فقط صورة أخرى للصفقات التي حكمت مسار الرجلِ في عالم السياسة منذ وقت مبكر، بل يقدم أيضًا نموذجا صارخا للأساليب الملتوية التي هاجرت معه من نشاطه التجاري إلى ممارسته للسياسة" ولو أثبتت هيئات التحقيق الأميركية على ترمب ورجاله تهم التآمر مع روسيا للتأثير في نتيجة الانتخابات الرئاسية الأميركية الأخيرة، وهي الأزمة الأخطر التي يواجهها ترمب؛ فإن هذا لا يقدم لنا فقط صورة أخرى للصفقات التي حكمت مسار الرجلِ في عالم السياسة منذ وقت مبكر، بل يقدم أيضًا نموذجا صارخا للأساليب الملتوية التي هاجرت معه من نشاطه التجاري إلى ممارسته للسياسة، وهو ما سيظهر بعد قليل.

قال مايكل كرانش ومارك فيشر في كتابهما "ترمب بلا قناع.. رحلة من الطموح والغرور والمال والنفوذ": "كثيرا ما تبجح ترمب بقدرته على دفع أقل ما يمكن دفعه إلى الحكومة، وهي عادة وصفها بأنها الطريقة الأميركية"! وهذه الطريقة (الأميركية) طبقها الرجل سياسيا حين عمل على إطالة أمد الأزمات (مثل الأزمة الخليجية) حتى يجني مزيدا من الأرباح والصفقات، في حين أنه يستطيع بالضغوط التي يملكها أن ينهي المشكلة في أسرع وقت. وفي تطبيق أقدم لهذه "الطريقة الأميركية" التي تعني اربح أكثر ما تستطيع وادفع أقل ما يمكن؛ ابتزّ ترمب حلفاءه في لقائه الشهير بالرياض مع ممثلي أكثر من خمسين دولة مسلمة في مايو/ أيار الماضي، حيث أبرم اتفاقيات اقتصادية (استثمارات وصفقات أسلحة) مع السعودية تبلغ قيمتها حوالي خمسمئة مليار دولار.

يحدث هذا رغم أن إلحاق الضرر بأصدقاء أميركا في المنطقة -وهو مما يترتب حتما على هذه الصفقات- ليس من مصلحة واشنطن، لكن الرأسمالي المخضرم يريد أولاً قبض الأجرة على خدمات سابقة قام بها الجيش الأميركي في المنطقة، ويريد ثانياً علاج مشكلات الاقتصاد الأميركي من جيوب الآخرين. وفي تعليق آخر للمؤلفين المذكورين على مبالغات ترمب في تقدير حَجم ثروته؛ قالا: "في تجارة العقارات ذات المجازفة الكبيرة والمردود العالي تعتمد قدرة ترمب على عقد الصفقات وضمان التمويل لمشروعاته على المستثمرين الذين يثقون بسمعته وبثروته". وبالمثل يمكن أن تلاحظ بسهولة أن وهم القوة المطلقة للولايات المتحدة يسيطر على عقل ترمب سياسيا، كما في تعاطيه مع كوريا الشمالية. ولا يعنينا هنا استقصاء الأمثلة والحالات بقدر ما يعنينا التأكيد على طبيعة النموذج الذي يقدمه ترمب في إدارة الدولة التي يرأسها، ويكفي أن نشير أخيرا إلى أنه بشّر كثيرا -في حملته وبعد فوزه- بتوفير مزيد من فرص العمل لمواطنيه، وهذا يدل على أن تصوره للدولة يشبه في حقيقته تصوره للشركة والمشروع التجاري الذي يوفر فرص عمل. والحقيقة أنه ليست الدولة فقط هي التي لا تقبل الابتسار إلى هذا الحد، بل إن اقتصاد الدولة نفسه لا يمكن اختصاره في مجرد توفير "فرص عمل" للمواطنين.

القدس على الطريق:

كل هذه المواقف التي اختارها ترمب لنفسه وهو يمارس السياسة، تقوي الاعتقاد بأن الخطوة الأخيرة التي اتخذها بشأن مدينة القدس الشريف، باعترافه بها عاصمة لدولة الاحتلال الإسرائيلي وأمره بالإعداد لنقل السفارة الأميركية إليها؛ هي الأخرى صفقة لها مقابل كبير يلائم خطورة القرار. صحيح أن الرجل كان قد وعد في حملته الانتخابية بأن يتخذ هذا القرار إن قرر الشعب الأميركي اختياره رئيسا للدولة، لكن كثيرين قبله ممن سكنوا البيت الأبيض كانوا قد وعدوا باتخاذ هذه الخطوة أيضًا، لكنهم لمّا عاينوا خطورتها تراجعوا عنها، ودعموا إسرائيل بعيدا عن فتح هذا الجرح الغائر. "الاعتراف الأميركي بالقدس الشريف عاصمة لإسرائيل لا يرضي الحلفاء في تل أبيب وحدها، ولكنه يرضي كذلك اليمينيين الأميركيين وجماعات الضغط الصهيونية في أنحاء أميركا، وترمب في كل حال لا يهمه أن تكون القدس مدينة مقدسة أو غير مقدسة، ولا يهمه كذلك أن تكون من حق الفلسطينيين أو الإسرائيليين؛ المهم أن تكون ثمنا مقنعا يوصله إلى ما يريده؛ خاصة أنه رجل يؤمن بما يشبه النسبية المطلقة" وصحيح كذلك أن المنطقة تمر بأسوأ مراحلها التاريخية منذ احتلال القدس عام 1967، إلا أن الاندفاع في هذه السبيل سيعني -حتى في هذه الظروف- سقوط الحلول الأميركية ونهاية دور واشنطن في فلسطين، كما سيؤجج احتجاجات كبيرة في أنحاء العالم، وقد يشعل نار المعارضة للأنظمة الموالية للولايات المتحدة ما دامت تحتفظ بعلاقات طبيعية معها، رغم تصرفها المشين تجاه القدس.

إن الأحداث التي تجري حاليا حول القدس ستؤدي -بتفاقمها المتوقع- إلى إعادة قضية فلسطين إلى صدر المشهد العربي والإسلامي، مما سيفتح وعي الأجيال الشابة والصغيرة على قضيتهم هذه من جديد، وهو أمر لا تخشاه الولايات المتحدة وإسرائيل وحدهما، بل تشاركهما في ذلك أكثر الأنظمة العربية القائمة حاليا؛ لأن أي جرح عربي فتحته انفتحت معه جراح الأخ والجار. كل هذا لا أظنه يغيب عن حسابات ترمب الذي دعا أصدقاءه في تل أبيب إلى عدم إظهار الفرح العارم بالقرار، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه يدفع قراره هذا الخطير ثمنا لشيء كبير، وهل هناك بالنسبة له شيء أكبر من الاحتفاظ بالمكتب البيضوي والكرسي الذي يهتز الآن بشدة من تحته؟! والقوة والتزييف الإعلامي ومعونة الوكلاء في المنطقة كفيلة بعد ذلك بامتصاص الغضب الذي سيتجه هابطا مع الوقت حتى يتلاشى.

إن الاعتراف الأميركي بالقدس الشريف عاصمة لإسرائيل لا يرضي الحلفاء في تل أبيب وحدها، ولكنه يرضي كذلك اليمينيين الأميركيين وجماعات الضغط الصهيونية في أنحاء الولايات المتحدة، وكلاهما معوَّل عليه مهم بالنسبة لترمب وهو يخوض حرب البقاء في منصبه بأي ثمن. وترمب في كل حال لا يهمه أن تكون القدس مدينة مقدسة أو غير مقدسة، ولا يهمه كذلك أن تكون من حق الفلسطينيين أو الإسرائيليين؛ المهم أن تكون ثمنا مقنعا يوصله إلى ما يريده؛ خاصة أنه رجل يؤمن بما يشبه النسبية المطلقة. فقد نقل عنه مؤلفا كتاب "ترمب بلا قناع" قوله حينما سأله بعض الصحفيين عن تناقض الأرقام التي يعبر بها عن مقدار ثروته: "حتى مشاعري الخاصة حول أين يقع العالم مثلا، وإلى أين يمضي العالم؛ هذا يمكن أن يتغير بسرعة من يوم إلى آخر"!

نبيل الفولي: كاتب وباحث مصري

المصدر: الجزيرة

محورية الإنسان في الإصلاح

يتأسس الإصلاح على ركائز أساسية متعلقة بمحورية الفرد واستراتيجية المؤسسات ومركزية الأمة، ومن ثم كانت العناية بالأفراد والأسرة مطلبا رئيسا حتى يتم تجديد نسيج الأمة الاجتماعي بفضل اتساع دائرة الإيجابيين القادرين على تجديد أنفسهم وتأسيس أسر بانية. ذلك أن الذين آمنوا بقدراتهم وصدقوا بوجودهم الذي يميزهم وأيقنوا أن هناك مجالات عديدة أمامهم للعطاء، ثم بحثوا من خلال تواصلهم مع معلميهم ومربيهم ومزكيهم عن لون جديد يفردهم، هم الذين كسبوا رهان حضورهم الإيجابي وفازوا بتوظيف ما آتاهم ربهم من نعم الإبصار والإبداع.

إن تلاقي مثل هذه النماذج يعبد الطريق لاستفراغ الجهود في إطار الوسع الفردي والحضاري للأمة في مختلف مراحلها الاجتهادية.

ومؤدى هذا الكلام أن يتمكن الإنسان والأسرة من تحديد نسبة وحجم مشاركتهما في إصلاح ما فسد، فإن الله تعالى يحب من عباده المصلحين.

الإنسان ذلك المحور الأساس لأي إصلاح:

لعل من أهمية تجليات الإفلاس القيمي الذي أفرزه بناء المجتمعات الحديثة ما تعلق بالإنسان فيها، من حيث التخلي عن كثير من الصفات الإيجابية التي سددت حركته في الحياة ووجهت إنجازاته نحو نفع الآخرين في إطار الارتباط الإنساني.

ومن الملاحظ أن الاهتمامات بحركات المجتمع تطورت وتنوعت بقدر ما أفرزته النظريات الاجتماعية من رؤى وتصورات ومفاهيم ارتدت على المجتمعات بشَر لا يستهان به، الأمر الذي استدعى منظومة القيم الفطرية في الإنسان والمبادئ الدينية التي يؤمل فيها الكثيرون إيجاد مداخل للرد الحضاري.

وإذا كان الإنسان هو المصدر الأساس والعنصر الأبرز في الاختلالات الاجتماعية الكبرى، فإنه كذلك المنطلق الرئيس والفاعل المؤثر في أية عملية إصلاحية حقيقية.

إن تحقيق هذا الهدف الكبير يدفع المهتمين به إلى استفراغ وسعهم لصياغة الرؤى وتكوين المفاهيم وسن برامج ووضع مخططات تستنفر كل طاقات الإنسان الظاهرة والباطنة حتى يتحقق نوع الإنسان الذي يصنع الحياة اللائقة به.

الإنسان الإيجابي ركن الحضارة:

تقوم الحضارة على قواعد عديدة تستند إليها وعلى ركائز أساسية تقويها وتضمن لها البقاء، وحيوية مقوماتها وخصائصها، الشيء الذي يستدعي تسخير الطاقات والإمكانات لتفعيلها وتجديدها.

ولذلك وجب التأكيد على الوعي بوظيفة الإنسان وتبين مهمات وجوده حتى يسلك سبيله على بصيرة، وقد حدد علاقاته مع خالقه ومع الكون والناس والحياة. إنه لأمر ضروري لتجنب ثقافة العبث والهدم وهدر الأعمار وخراب العمران

ولقد ضل كثيرون وهم يتحركون في حياتهم دون أجوبة صريحة قوية على أسئلة وجودهم ومصيرهم وهويتهم الحقيقية، ظنوا أنهم يحسنون صنعا وهم أضل سبيلا، وأخطأ آخرون عندما لم يعتبروا في الإنسان قابليته المزدوجة للسمو والتسفل حسب اختياره عوامل الصعود والتزكية أو استسلامه لأسباب النزول والتدسية.

الإنسان الجدي:

كتب على الإنسان أن يتحمل مسؤولية ضخمة عرضت على السماوات والأرض والجبال وأشفقت منه وهابت جسامتها فاعتذرت. ولقد اختار الإنسان عن طواعية هذه الأمانة، والواجب أن يتذكرها ولا ينساها وأن يحيا من أجلها ولا يضحي بها، وأن يرتفع إلى مستوى مقتضياتها باستثمار الجهد والوقت للقيام بمتطلباتها.

ولأجل تحقيق مقامات إنسان التوحيد الذي حدد غايته في إرضاء الله سبحانه، كتب الله على عباده أن يجاهدوا أنفسهم ليهديهم سبله، ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإكثار من الاستغفار حتى لا يصيب إيمانهم لوثات خفايا الشرك.

إنسان الفكر والحركة رأسمال الإصلاحات الكبرى:

إن الإنسان خلق كريما، إذا قويت فكرته استقامت سريرته وصفت روحه وارتفع بذلك في توقير الحق وخدمة الخلق، وازداد منسوب شعوره بالمسؤولية إزاء مجتمع ، وتمكن الفكر من نقل الإرادة إلى العمل.

وعندما يسكن هَم الفكر والحركة روح الإنسان ويهيمن عليه، يحييه ويجعله يمشي في الناس بنور برنامج منظم وفق تخطيط يعصم الطاقات من التبدد والجهود من التخبط ويعجل من تحقيق الأهداف بذكاء وإتقان.

ثم إن الحركية والفكر يمنعان من الاستلاب والفناء الحضاري ذلك بأن التأمل في حركات المجتمعات التي حافظت على وجودها وماهيتها يكشف أنه ما من قوم أصروا على صياغة مشاريعهم وفق منظومتهم القيمية وصابروا وهم يفكرون لبناء حركيتهم الاجتماعية، ثم أصروا على خطهم في الحياة، وثبتوا في مجراهم الحضاري، إلا كونوا لأنفسهم ذاتا مستقلة وموقعا وازنا بين الناس، مقاومين أساليب التنميط والتحنيط.

إن لغة الفكر تمتلك قوة ذاتية وجاذبية للعقول الحية النابضة بالحيوية، وعندما تقترن بلغة الحركة المترجمة الصادقة، تصبح قادرة على إحداث نقلة نوعية في الأفراد والمجتمعات، والذين تركوا بصمات قوية في العالمين خلفوا وراءهم آثارا عملية ما زالت البشرية تستلهم منها مقومات انبعاثها ونهضتها.

الشيء الذي مكن من صناعة الإمامة وصياغة القيادة بفضل التفاعل الإيجابي بين إرادة الفكر وإدارة الحركة الكفيل بإغراء ذوي الفطر الصافية والأرواح النقية لاحتضان مشروع الإصلاح وإلحاق الخير بالخلق.

كل ينفق مما عنده؛ فمنهم ذوو البصائر والعرفان ومنهم أصحاب بسطة في المال والحكمة، ومنهم من يجمع هذا وذاك.

إن الحاجة لهذا الإنسان عظيمة عظم مسؤولية خدمة الرسالة وإنقاذ الإيمان وإحياء الآخرين به، فهو الوحيد الذي تتترس به الأمة لأنه رائد أهله لا يكذبهم، وطليعة المسير يتعرض للحرائق وهو يواجهها حماية لغيره.

التوازن بين العقل والقلب والروح:

من أعظم ما ابتلي به الإنسان في هذا العصر تشيؤه بتغليب ماديته على روحه، بل بإنكار الجانب الروحي في مساحات واسعة في بناء الأفراد والمجتمعات الحديثة، وباءت بسبب ذلك البشرية بهزائم منكرة في كينونتها الإنسانية، ولم يغن عنها ما كسبته في دنيا العقل والمادة ـ من نقلة نوعية وثورات علمية شيئا، وحاق بها قدر من الشقاء والتعاسة الخطيرة.

ميلاد جديد يأذن به تزاوج العقل والقلب

تمر البشرية بمخاض تنتظر معه مولودا جديدا، يجسد لقاء حقيقيا بين العقل والقلب، يترتب عنه عالم جديد أبرز تجلياته "الإنسان الجديد" الذي يضع عنه إصر تراكمات المادة التي حاصرت القلب وحشرته في زاوية في انتظار الإجهاز عليه أو تقييده بالأغلال على الأقل لتنطفئ فاعليته ويغيب نوره.

إن التوازن هو الذي يمكن الإنسان من التمسك بما يذكره للناس من خصال الخير، وأهلا للثبات على مواقف الحق والإيمان، من خلال الحياة بالإسلام ومن أجله، أما من يستخدم دينه لهواه أو أهواء غيره فإنه مرشح للقيام بالأدوار المتناقضة.

من الناس من تقرأ كلامه فيعجبك مضمونه، أو تسمع حديثه فيجذبك لسانه ومنطقه حتى إذا ظهرت لك مواقفه وبرزت لك حياته صدمتك بانحرافها وهبوطها وإسفافها، أولئك فقدوا التوازن في حياتهم وأولئك أفسدوا وما كانوا من المصلحين

التوازن بين لوثة الرياء ومصيبة الانزواء:

ما دخل الرياء في عمل -مهما صغر أو كبر- إلا أفسده، ولقد علمنا كتاب ربنا أن حبوط العمل مصير من أشرك. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر 62 – 63).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». (أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق).

وما ينتجه الرياء، مهما بدا قائما جميلا، سرعان ما يخبو وينتهي ولا يؤتي ثمارا طيبة. كما أن من ينزوي عن الناس ويتجنبهم ويتخلى عن واجباته، يصير آثما ويحرم نفسه ومن حوله من خيره وصالحات أعماله وحسن مواقفه.

التوازن بين تأليه الأسباب وتعطيلها:

يضل الفكر ضلالا مبينا عندما يبالغ في النظر إلى الأسباب فيسند إليها كل شيء وكأنها تملك كل شؤون الخلق وليس هناك قوة توقف فاعليتها وتحول مجراها وتقدر مسراها، حيث تصبح آلهة بيدها التدبير والقرار.

كما أن الإنسان يخطئ خطأ بينا حينما يهمل سنن الحياة والاجتماع الإنساني والتدافع الحضاري، ويعطل أدوات صناعة الأحداث وصياغة التحولات الفردية والجماعية. مع العلم أن الخطاب القرآني ينبه إلى سنة الله التي شاء لها أن تؤدي إلى نتائجها الطبيعية.

وحتى نتجنب مثل هذه المآلات المحزنة وجب على الإنسان إدراك حدود واجباته وتوقير مقامات الألوهية والتسلم بعظمة الربوبية، وذلك بتحديد طبيعة العلاقة بين الخلق وخالقهم وإرادة الله تعالى المطلقة ومشيئته النافذة التي جعلت للإنسان إرادة مسؤولة تترتب عنها واجبات الاستخلاف والمحاسبة.

إن من مقتضيات ذلك أن مسبب الأسباب لا تقيده هذه الأسباب، وأن اعتمادها من قبل الإنسان تجسيد لمعنى الإيمان بالله الذي أمر بذلك، وأن ربط النتائج المأمولة بخوارق العادات ليس مفروضا بمنطق الوحي الذي رتب الجزاء على الكسب الإنساني.

ذ. حميد الداودي

الإسلام وما بعد الحداثة الوعود والتوقعات (2)

قراءة في كتاب لمؤلفه: أكبر صلاح أحمد الباكستاني

ما بعد الحداثة عبارة مشهورة جدا تتداول على نطاق واسع جدا حتى أصبحت كل فروع المعرفة في المجال الأكاديمي، أو السياسي، أو الديني ينظر إليها بمنظار ما بعد الحداثة، فنجد كتبا تحمل عناوين، من مثل:

الله والدين في عالم ما بعد الحداثة 1989
رئيس ما بعد الحداثة في أمريكا 1988
عقل ما بعد الحداثة 1989

وعقد مؤتمر دولي في لندن من طرف مجمع البحوث الإسلامية islamic reasearch academy حول بيت المقدس بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي يوم 24 أكتوبر 2000م، ومن العروض التي قدمت في المؤتمر عرض لمايكل هيدر بعنوان: "موقف ما بعد الحداثة من بيت المقدس". وقبل هذه العناوين كتاب آخر لواحد من أبرز مفكري ما بعد الحداثة هو جان فرنسوا ليوطار:

حالة ما بعد الحداثة:

ليس ما بعد الحداثة مفهوما مجردا أو نقاشا أكاديميا في الصالونات الأدبية المغلقة بمعزل عن الحياة الواقعية، بل إن ما بعد الحداثة سمة مميزة لحقبة من تاريخ الإنسان المعاصر، وهي العشرية الأخيرة من القرن العشرين التي وفرت إمكانيات غير مسبوقة للتلاقي بين الأجناس والثقافات والحضارات، وقد رأينا رأي العين نموذجا خاصا لالتقاء أجناس مختلفة من كل بقاع الدنيا عندما غزا العراق الكويت صيف 1990، وكيف اجتمع الناس: أبيضهم، وأسمرهم، وأصفرهم، وصهروا في بوتقة واحدة تحت مظلة الأمم المتحدة.

إن ما بعد الحداثة إذن يعني ببساطة المرحلة التي أعقبت الحداثة، وتبدأ مع تشكل نظام عالمي جديد سنة 1990 مع الإشارة إلى أنه كثيرا من سمات الحداثة ما زالت مستمرة في مرحلة ما بعد الحداثة .

وحيث إن مفهوم ما بعد الحداثة أو الحداثة الجديدة كما يقترح بعضهم ، مراوغ ورجراج وغير منضبط يعتريه بعض الغموض فسنحاول توضيحه أكثر بذكر بعض صفاته أو ملامحه :

سمات أو ملامح ما بعد الحداثة:

من أبرز سمات ما بعد الحداثة:

1 – **لا مكان للاعتبارات الدينية والغيبية في فلسفة ما بعد الحداثة، لأن الحداثة قبلها همشت دور الدين فهو في أحسن الأحوال علاقة شخصية بين الإنسان وخالقه.**

> إن المشكلة الكبرى أن المدينة تجرد الإنسان من آدميته وإنسانيته.
> الإنسان في مدينة ما بعد الحداثة متوتر، عنيف، عدواني، مندفع، منهَك، عُصابي، وباختصار مجرد فن آدميته.
> إن المدينة في عصر ما بعد الحداثة في طريقها إلى أن تكون مجتمعا تسكنه الشياطين.

2 – **ليست هناك حقيقة مسلمة يقينية في فكر ما بعد الحداثة، بل حقائق شتى متعددة يصوغها الإنسان بنفسه، ويختار منها ما يريده حتى ولو كانت في منتهى الشذوذ.**

3 – لا يخضع النظام الأخلاقي في فلسفة ما بعد الحداثة لاعتبارات قيمية مطلقة، بل الأخلاق تنطلق من اتفاقيات محدودة الشرعية تمليها مصالح الفرد والمؤسسات المهيمنة.

4 – **تؤكد فلسفة ما بعد الحداثة على ضرب الخصوصيات القومية وأنظمتها المرعية لضبط مصالح شعوبها، فالهوية الدينية والخصوصية القومية لا مكان لها في السوق العالمية.**

5 – الربط بين ما بعد الحداثة وتشكل الحركات الأصولية الدينية. والأصولية، كما تتداولها وسائل الإعلام، ليست قصرا على الدين فالماركسية اللينينية أصولية، والهندوسية في الهند أصولية، والبوذية في التايلاند أصولية.

ولكن الأصولية الأكثر إثارة للاشمئزاز في الميديا الغربية هي الأصولية الإسلامية، بل إن الأصولية في الإعلام كثيرا ما يراد بها الحركات أو الجماعات الدينية في الإسلام.

6 – من سمات ما بعد الحداثة الحواضر الضخمة، إن تضخم المدن من خصائص ما بعد الحداثة، المدينة الناعمة حيث العنف والوحشية، والاغتصاب، والقتل بدم بارد، والليل فيها جحيم، تقتل المدينة الماء، والهواء، والمساحات الخضراء. والفلسفة التي يتصرف بمقتضاها ساكن المدينة: لا تكره نفسك، هناك أمور كثيرة تصلح أن تكون موضوعا لكراهيتك: انظر إلى تلك البيوت، وإلى تلك المخازن، وإلى تلك السيارات، لماذا لا تكون في ملكيتك، إنها تناسبك، خُذْها.

إن المشكلة الكبرى أن المدينة تجرد الإنسان من آدميته وإنسانيته.

الإنسان في مدينة ما بعد الحداثة متوتر، عنيف، عدواني، مندفع، منهَك، عُصابي، وباختصار مجرد فن آدميته.

إن المدينة في عصر ما بعد الحداثة في طريقها إلى أن تكون مجتمعا تسكنه الشياطين.

7 – المزج الواضح والجمع بين مذاهبَ واتجاهات وتيارات وخطابات مختلفة وأنماط شتى، وحقب تاريخية مختلفة:

العطر الفرنسي، والموضة الإيطالية، ووجبات ماكدونالد، والاستماع إلى موسيقى الراب في غياب معايير جمالية محددة.

إنتاجات أدبية وفنية وموسيقية مؤلفة من عناصر متباينة ضُمّ بعضها إلى بعض، تجمع بين الرفيع والرقيع، بين الراقي والسوفي. والسبب في جمع هذه الأخلاط هو تلاقي الثقافات وانتقال الأفراد من قارة إلى أخرى رغم القيود المفروضة على السفر، إلا أن التداخل والتشابه والاحتكاك قائم وموجود.

8 – لكن أبرز خصائص مابعد الحداثة الحضور القوي لوسائل الإعلام، ولذلك يخصص له الكتاب فصلا كاملا من حوالي 50 صفحة بعنوان: "جبروت الإعلام"، ويعتبره موضوعا ذا أهمية قصوى، لأنه وثيق الصلة بالإسلام، وطبيعة العلاقة بين الإسلام وما بعد الحداثة.

ويرى أن أخطر تهديد يهدد حياة الإنسان في عصر ما بعد الحداثة هي تكنولوجيا الاتصالات التي تقتحم على الناس بيوتهم، لم يعد العالم يبدأ من عند عتبة الباب، بل أصبح العالم في قلب المنزل.

إن صورا تلفزيونية منتقاة بعناية تستطيع أن تدمر بلدا بكامله كما لو أنها أسطول من السفن الحربية، أو أسراب من قاذفات القنابل.

والعبارة المجازية التي نرددها من أن العالم قرية صغيرة، أو القرية العالمية لـ"مارشال ماكلوهان" بالغة الدلالة على خطورة وسائل الإعلام، أو الميديا، وهي حقيقة ثابتة لا مجال لإنكارها.ففي عصر ما بعد الحداثة لا شرق، ولا غرب، أمام قوة وسائل الإعلام وجبروتها.

د . محمد بوحمدي

اللغوي والأديب المصري حسين نصار في ذمة

توفي يوم الأربعاء 11 من ربيع الأول1439 هـ / 29 نوفمبر 2017م، توفي الباحث المحقق والأديب المترجم الأستاذ الدكتور حسين محمد نصار، بعد حياة حافلة بالعطاء الأدبي الثقافي الموسوعي.

أولا محطات من حياة الراحل:

– ولد الدكتور حسين محمد نصار في 07 ربيع الآخر 1344 هـ/ 25 أكتوبر 1925م.
– سنة 1947م حصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة.
– سنة 1949 حصل على درجة الماجستير بموضوع "نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي"
– سنة 1953حصل على الدكتوراه من القسم نفسه في موضوع "المعجم العربي: نشأته وتطوره".
– عمل طيلة فترة حياته بكلية الآداب جامعة القاهرة وشغل منصب عميد الكلية.
– عضو نشيط في عدد من الجمعيات والكيانات الثقافية.

ثانيا جوائز:

– نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب، 1968م.
– جائزة مبارك (النيل الآن) في الآداب، 2006م.
– جائزة الملك فيصل العالمية في الآداب، 2004م.

ثالثا إنتاجاته العلمية:

كان الدكتور نصار غزير الإنتاج فاقت كتبه 70 كتابا في مجالات الأدب والفكر والثقافة والتراث والترجمة:

1 – في المجال البلاغي:

– إعجاز القرآن (التحدي . المعارضة)، مكتبة مصر، القاهرة، 1999م.
– الفواصل، مكتبة مصر، 1999م. الصّرْفَة والإنباء بالغيب، مكتبة مصر، 2000م.
– الإبهام في القرآن والإعجاز العددي، مكتبة مصر، 2011م . التكرار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م.
– المتشابه، مكتبة الخانجي، 2003م. فواتح سور القرآن، مكتبة الخانجي، 2003م .
– الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار الهلال، القاهرة، 2000م.
– القسم في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م.
– الأمثال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة 2002م.
– النساخ و المنسوخ في القرآن الكريم، دار العالم العربي ، القاهرة، 2011م.

2 – في مجال الدراسات الأدبية:

– نشأة الكتاب الفنية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1954.
– الشعر الشعبي العربي، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، سلسلة المكتبة الثقافية، عدد رقم60، القاهرة، 1962م.
– القافية في العروض والأدب، دار المعارف، القاهرة 1980م، أدب الرحلة، شركة أبو الهول ،لونجمان، القاهرة، 1991م.
– في النثر العربي، الهيئة العامة للكتاب، (مكتبة الأسرة)، القاهرة، 2000م.
– في الشعر العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م. في الأدب المصري، مكتبة الثقافة الدينية، 2003م.
– الطبيعة والشاعر العربي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1974م.

3 – في المجال اللغوي:

– المعجم العربي.. نشأته و تطوره، مكتبة مصر، القاهرة، 1965م.
– معجم آيات القرآن الكريم، مطبعة ومكتبة الحلبي، القاهرة، 1954م.
– مدخل تعريف الأضداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م.
بحوث و مقالات لغوية، مكتبة الثقافة الدينية، 2004م.
دراسات لغوية، دار الرائد العربي ، بيروت، 1981م.

4 – في مجال تحقيق التراث الأدبي:

حقق كثيرا من الدواوين الشعرية مثل: ديوان ظافر الحداد، وديوان عَبيد بن الأبرص الأسدي. وديوان الخرَنِق وديوان ابن الرومي (6مجلدات) وغير ذلك كثير.

نظرات علمية هادئة
في الشّأن اللّغويّ الرّاهن (3/3)

يواصل الأستاذ في هذه الحلقة عرض مجموعة من الأخطاء اللغوية التي يقع فيها الباحثون، ويوجه إلى الصواب الذي تقتضيه قواعد الاستعمال اللغوي العربي الفصيح.

ج – أمّا لغةُ البحوث الجامعيّة فتُعدُّ أهمَّ ركنٍ من أركانها؛ لأنّ الأمرَ فيها يتعلّقُ بالبيان والتّبليغ واختيار أنسب صياغة ونظم لتأديةِ المعنى. وكثيرًا ما يُلاحظُ أنّ الباحثينَ يتعثّرونَ في العبارات، ولا يستعملونَ الألفاظَ في مواضعها، و من الأمثلة على ذلك:

على صعيد معجم الأفعال المستعملة في صوغ الجمل و تركيبها:

من الباحثين من يستعملُ الفعلَ في غير موضعه، وأسوق أمثلة من بعض الأطروحات، من غير ذكر عناوينها: «صرفت هذه المؤسّساتُ طلاّبها للتّعلّم». المعروفُ أنّ للفعلِ "صرفَ" معنىً غيرَ الذي أُعْطيَه هنا؛ فهو يدلُّ في الأصل على ردِّ الشّيءِ عن وجهه: صرفَه يصرفُه صَرْفًا فانصرف، و﴿صَرَفَ اللهُ قُلوبَهُمْ بأنّهم قومٌ لا يفْقَهون﴾(1)؛ أي أضلّها مُجازاةً على فعلهم، و﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الّذين يتكبّرون في الأرض﴾(2) أي أجعل جزاءَهم الإضلالَ عن هدايةِ آياتي(3). فالمعنى العامُّ هو الرّدُّ والدّفعُ والتّسريحُ إلى المكانِ الذي جيءَ منه، ويتعدّى هذا الفعلُ بحرفي الجرِّ "عن" و"إلى"، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾(4) وقوله: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾(5). والأقربُ إلى الصّوابِ أن يُقالَ: بَعَثَتْ هذه المؤسّساتُ تلاميذَها، أو وَجّهَتهم.

ومن الأمثلة أيضا فعلُ "أضافَ"، فهو فعلٌ يتعدّى بنفسه وبحرفي الجرِّ "على" و"إلى" يُقالُ: أضافَ عليه: أشرَفَ، وأضافَ الشّيءَ إلى الشّيءِ أمالَه وأسنده وضمّه، وأضافَ الكلمةَ إلى الكلمةِ نَسَبَها إليها على وجهٍ مخصوص، وأضافَ من الأمر: أشفقَ (6).

ومن ذلك فعل "خَرَجَ"؛ لا نقولُ: «يخرُج للقرّاء بما ينطوي عليه »، و لكنه يتعدّى بحروف الجرّ "من" أو "الباء" أو "على" أو "إلى"، وذلك نحو: خَرَجَ من موضعه برَزَ، وخرّجَ به أخرَجَه، وخرَجَ عليه برزَ لقتاله أو فاجأه وبهَره، وخرَجَ إليه برَزَ له. و الصّوابُ أن يَقولَ الباحثُ: «يخرجُ إلى القرّاءِ بما ينطوي عليه ... » (7).

ومن ذلك فعل "نأى ينْأى" بمعنى بَعُدَ، ويتعدّى بحرف الجرّ "عن"، لقوله تعالى: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ (8)، و قال النّابغة:

وإنّكَ كاللّيل الذي هُوَ مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنّ المُنْتَأى عَنْكَ واسِعُ (9).

أمّا فعل "تطرّق" فإنّه يتعدّى بحرف الجرّ "إلى"، نحو: تطرّقَ إلى الأمر، أي ابتغى إليه طريقًا (10)، و ليسَ الفعلُ متعدّيًا باللاّم.

أمّا الفعل "مرَقَ" فإنّه يتعدّى بحرف الجرّ "من"، وليس بعَلى، يُقالُ: مَرَقَ السّهمُ من الرّميّة يمرُقُ مَرْقًا و مُروقًا، خرجَ من الجانب الآخَر وخرَقَ، ومرقَ من الدّين: خرجَ منه ضَلالةً أو بدعة، وذُكرَ في الحديثِ الذي رواه أبو سعيد الخدريّ أنّ قومًا يمْرُقونَ من الدّين كما يمرُقُ السّهمُ من الرّميّة(11)، أي يجوزونَه ويخرقونَه ويتعدّونه، كما يخرقُ السّهمُ المرميُّ به ويخرُجُ منه(12).

أمّا "أشَرَ يُؤَشِّرُ تأشيرًا"، فهو بالمعنى المُستعمَلِ اليومَ من كلام المولّدينَ الجُدُد، وفيه عُجمةٌ وأثرُ ترجمة، لأنّ الهمزةَ فيه زائدةٌ مُقْحَمَةٌ لا مكانَ لها، ولا يُشتقُّ فعلٌ مزيدٌ يجعلُ الزّائدَ فيه أصليًا. أمّا الصّوابُ في المصدرِ فأن يُقالَ "علامةُ دخولٍ" أو "إشارةُ دخولٍ" أو "إذنٌ بالدّخول". نعم، لقد وردَ الفعلُ "أشّرَ" مزيدًا، لا بالألف و لكن بالتّضعيف، والأَشَرُ المَرَحُ والبَطَرُ، وتأشيرُ الأسنانِ تحزيزُها وتحديدُ أطرافها، وكلُّ مُرَقّقٍ مُؤَشَّرٌ، والتّأشيرةُ ما تَعَضُّ به الجَرادةُ، والتّأشيرُ شوكُ ساقيْها أو عُقْدَةٌ في رأسِ ذَنَبِها(13).

ومثله فعل "تأرْجَحَ" الذي هو بناءٌ غيرُ قياسيٍّ؛ لأنّه في الاستعمالِ الرّاهنِ يُعامَلُ الهمزةَ المعدِّيَةَ معاملةَ الزّائدةِ في الفعلِ "أرْجَحَ يُرْجِحُ" كأكرَمَ يُكْرِمُ، مُعاملةَ الحرفِ الأصليِّ، وأرْجَحْتُ لفُلانٍ إذا أعطيتَه راجحًا. أمّا "تأرْجَحَ" فهو استعمالٌ عاميّ مولّد، والصّوابُ: ترَجّحَ أي اهتزّ وتذبذَبَ ومالَ، وترجّحَ في القولِ تَمَيَّلَ فيه(14).

أمّا الفعلُ "أعطى" فهو يتعدّى بنفسه، ولا يحتاجُ إلى لامِ الجرِّ كما هو شائعٌ في الاستعمال.

ويتعدّى فعلُ "تضلّعَ" بحرفِ الجرّ "منْ" وليس بفي، و معنى تضلّعَ امتلأَ شبَعًا أو رَيًّا، وتضلّعَ من الماء شربَ منه حتّى منه الأضلاعَ، وتضلّعَ من العلوم نالَ منها حظًّا وافرًا(15).

ومن ذلك فعل "رجع" فهو يُستَعْمَلُ مجرّدًا في حالَتَي اللّزوم والتّعدّي، تقول: رجَعَ يَرْجِعُ رَجْعًا و رُجوعًا ورُجْعى ورُجْعانًا ومَرْجِعًا ومَرْجِعَةً: انْصَرَفَ (16)، ورَجَعْتُهُ أَرْجِعُه (بفتح الهمزة) رَجْعًا فَرَجَعَ رُجوعًا، يستوي فيه لفظُ اللاّزم والواقع، وفي حديث السّحَور عن عبد الله بن مسعود أنّ بلالاً يُؤَذِّنُ بلَيْلٍ لِيَرْجِعَ قائمَكُم و يوقِظَ نائمَكُمْ(17). ورَجَعَ فعلٌ قاصرٌ ومتعدٍّ؛ تقول: رَجَعَ زيدٌ و رَجَعْتُه أنا، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾(18).

ومن الألفاظ التي يُخرجُها كثيرٌ من الباحثينَ عن أصلها استعمالُ كلمة "بعض" مُعَرَّفةً بالألف واللاّم، كقولِ بعضهم: «مُستقلاًّ عن بعضها البعض» و«يعتبرُه البعضُ من الفصحاء» و«سأقتصرُ على ذكر البعض منها» و«يُفَضّلُ البعضُ استعمالَه»... والحقيقةُ أنّ كلمةَ "بعض" لا تُعَرَّفُ بالألف واللاّم؛ تقولُ بعضُ الشّيءِ طائفةٌ منه، والجمعُ أبعاضٌ، ويُذكرُ أنّ الزّجّاجيَّ استعْمَلَ "بعْضا" بالألف واللاّم، فقالَ: وإنّما قلنا "البعض" و"الكلّ" مجازًا وعلى استعمالِ الجماعة له مُسامَحَةً، وهو في الحقيقة غيرُ جائزٍ، يعني أنّ هذا الاسمَ لا ينفصلُ من الإضافة؛ قالَ أبو حاتم: قلتُ للأصمعيّ: رأيتُ في كتاب ابن المقفّع: العلمُ كثيرٌ، ولكنّ أخْذَ "البعض" خيرٌ من تركِ "الكلّ"، فأنكره أشدَّ الإنكار، وقالَ: الألفُ واللاّمُ لا يدخلانِ في "بعض" و"كلّ"؛ لأنّهما معرفةٌ بغير ألف ولام، وفي القرآن الكريم: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾(19)، ولا تقولُ العربُ: "الكلّ" ولا "البعض"، وقد استعملَه النّاسُ بهذا النّحو، فاجتنبْ ذلك فإنّه ليسَ من كلام العرب(20) ولا يوجدُ في كتاب الله هذا اللّفظُ مُعَرَّفًا بالألف واللاّم مطلقًا.

و من الظّواهر التي يكثُرُ دَورُها على ألسنة الباحثين الالْتواءُ و التّعقيدُ في العبارة:

وذلك بزيادةِ ما لا فائدةَ فيه من الألفاظ، كقولِ أحدهم: «ما دام أنّه قد تمّ الإجماعُ على فائدته». وأبسطُ من ذلك وأيسرُ أن يقولَ: «مادامَ الإجماعُ على فائدته قد حصلَ»، ومفادُ هذا الضّربِ من الأساليب الابتعادُ عن الأساليبِ السّهلةِ البسيطة، وأداءُ المعنى بأساليبَ معقّدةٍ فيها كثيرٌ من الحشو والإطناب ولزوم ما لا يَلزمُ.

ومن ذلك استعمالُ عباراتٍ في غير موضعها وفي سياقٍ دلاليٍّ غير مناسب؛ لننظرْ مثلاً قولَ بعض الباحثين: «يَستعمل في تعزيز رأيه الرّافضِ خطّةً دفاعيّةً تقومُ على أساس التّخويف...»، فهذا كلامٌ لا يُستعمَلُ -في العادة- إلاّ في سياق المواجهة والتّخطيط للحرب، وليسَ في سياق الدّفْع عن الرّأي بالحجج و البراهين العقليّة. ومثلُه قولُه: «وأنا بدوري أضمُّ صوتي إلى أصوات هؤلاء ...»، وهذا كلامٌ لا يُستعمَلُ إلا في سياق الاقتراع والتّصويت، وليسَ في سياق الموافقة في الرّأي، والأولى أن يُقالَ: «أوافقهم في الرّأي».

وأمّا ما يُلاحظُ في جانب التّركيب والنّحو، فكثيرٌ جدًّا، منه على سبيل المثال:

أ – تقديمُ الأعرف على الأنكر، كقولِ بعضهم: « اتّخذت قاعدةً لها معرّبات اللّسان».

ب – ارْتكابُ أسلوب الإغماض والإضمار قبلَ الإظهار، و هو أسلوبٌ مولّد فيه أثرُ العُجمةِ والتّرجمة؛ كقولِ بعضهم: «وهو يخصُّ أيضًا مسألةَ [...] لم يكن لها حظٌّ من البحث والتّنقيب، يتعلّقُ الأمرُ بظاهرة الإلحاق»، والأصوبُ أن يُظْهَرَ المرادُ قبلَ أن يُضْمَرَ: «وهو يخصُّ أيضا مسألةَ الإلحاق، وهي مسألةٌ لم تُوَفَّ حقّها من البحث و التّنقيب ».

ج – بناءُ الجملة على حذف ثمّ ذكرِ المحذوف فيما بعدُ، كقولِ بعضهم: «ثمّ استُعمل لفظُ "معرَّب" بعد ذلك من التّهانويّ»، ولكنّ لنا في أسلوب والتّقديم والتّأخير -للعناية والاهتمام- منْدوحةً عن هذا الضّربِ من هذا التّراكيبَ، نحو قولنا: «ثمّ استعمَلَ لفظَ "مُعرَّب" بعد ذلك التّهانويُّ».

والأمثلةُ على خرق القواعد التّركيبيّة كثيرةٌ جدًّا، و هي أساليبُ جديدةٌ رَاضَها الاستعمالُ ورَضِيَها حتّى تَوَهَّمَ القارئُ أنّ الذي يقْرَؤُه من هذه الأساليب عربيٌّ أصيلٌ لم يَتَخَطّ إليه دخيلٌ غريبٌ من الجَديدِ الوافِدِ.

---

1 – التّوبة : 128.
2 – الأعراف: 146.
3 – لسان العرب: مادّة/صرف، 189/9.
4 – الأحقاف: 28.
5 – يوسف: 34/33.
6 – لسان العرب: مادّة/ضيف، 208/9.
7 – لسان العرب: مادّة/خرج، 249/2.
8 – الأنعام : 27.
9 – [خزانة الأدب: 423/1] لعبد القادر البغدادي، تح. عصام شعيتو، دار الهلال، بيروت، ط.1 / 1987، [لسان العرب: مادّة/نأى، 300/15].
10 – لسان العرب : مادّة/طرق، 221/10.
11 – صحيح مسلم : 741/2، تح. محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.
12 – لسان العرب : مادّة/مرق، 341/10.
13 – لسان العرب : مادّة/أشر، 20/4-21.
14 – لسان العرب : مادّة/رجح، 445/2.
15 – لسان العرب : مادّة/ضلع، 225/8.
16 – لسان العرب : مادّة/رجع، 115/8.
17 – صحيح مسلم : 768/2.
18 – سبأ: 31.
19 – النّمل: 89.
20 – لسان العرب: مادّة/بعض، 119/7.

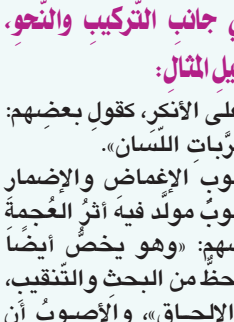

أ . د . عبد الرحمن بودرع

مسافات

بين عيسى و محمّد...

دة . ليلى لعوير

العالم كله منتشي بعيد ميلاد النبيّيْن العظيميْن: عيسى ومحمّد عليهما السلام والتّبريكات على حوائط الفيسبوك تخترق العوالم المظلمة والمضيئة في كل الفضاءات، وتحاول أن تصنع فرحا اصطناعيا لتقويض مساحة الألم، التي يعيشها النّاس في كل الأمصار في ظل تبنّي فلسفة الهروب التي أصبحت واقعا لا يكاد ينكره أحد، وظلا يجلس تحته من أرهق كاهلهم حديث الأمنيات عن عالم كان في زمن سحيق يقدّر قيمة الإنسان: طفلا، وكهلا، وشيخ، وخبرة.

الدماء مزروعة في مشرقنا الحزين، بكل تفاصيل الألوان، عراق بابل، وشام صلاح الدين، ويمن سبأ ومصر موسى وفلسطين المسجد الأقصى وعلى الأطراف من أوجاعها، أوجاع بورما ونيامار وليبيا إلى أقصى الصين.

كلّها بلا استثناء تصدّر للعالم موت الضمير الإنساني، وانحباسه في دائرة الشؤم، التي تتفنّن في التّمكين للبشاعة وأنت ترى أطفال سوريا كمثال، سواقي حمراء اختلطت بها البحارالمسجورة نارا، تكاد تحرق الكلّ، وشباب الأقصى يدفنون بتأشيرات مؤجلة في انتفاضة السكين،و..و..و.. وغيرها مما يدمي القلب الحزين.

العالم كله منتشي بعيد ميلاد النبيّيْن العظيميْن لماذا ؟

لأنّ الرّوح الشفافة ، لا تكاد تقوى على تحمّل هذا الضيم الشيطاني، وتأبى عليها مروءتها، أن يُتّهم فيها الأخْيَران عيسى ومحمد بأنّهما سببا في كلّ هذا الحزن، وما اجتماع عيديْهما في هذا الشهر بعد مئات السنين إلاّ تذكير للقلوب المقفلة بأنّ عيسى . عليه السلام . سيد المحبة ، وأنّ محمد ﷺ سيد الرّحمة والنّور، وما ارتبطت هاتان الخصلتان بهما في عيدهما المكين، إلا لتكون دعوة كونية بضرورة مراجعة أنوار الدين، وقراءتها وصوغها بصورة تفيد أنّ شقاء الإنسان، هو الإنسان ذاته، حين يعتقد أنّه مركز الوجود، وأنّ الأديان هي بعض من عذابات البشر.

العالم كله منتشي بعيد ميلاد النّبيّيْن العظيميْن لماذا؟

لأنّ الفطرة السليمة، تأنس بريح الأنبياء وترى في حضورهم الرّوحي، حضور الأمن والسلام والأمان وانتشاءة العبد المؤمن، بأن الله هو مركز الوجود، وحين يكون الاعتقاد في أنّ الله مركز الوجود، تتبدل معطيات القيم التي يصنعها الإنسان، ومعطيات القيم التي تمنحها الشرائع، فيتضح أنّ المشعلين لنار الفتنة في الأرض، هم من يظنّون بأنّهم قادرون عليها ، بإفناء الأناسي لبقائهم هم. أمام تهويمة اعتقاد بأنهم سادة الخلود الممتد بقهر الشعوب وتشويه صورة الأنبياء في أبعادها المختلفة.

الظلم الواقع في الأمصار إنساني، وحين يرتقي وعي الإنسان بأنّه فاني ، ويدرك في قراراته مسئولية الفعل ، وعبئه المضني، لحظتها فقط سيختار الرّقي الذي جاء لأجله عيسى وموسى ومحمد وهو نشر المحبة والرحمة والنّور، لأنّ الأراضي المغسولة بالدم ستغضبُ لأصحابها ولو بعد حين. للتّمكين للتّعمير

آه، ما أسعدنا بنا ، و فينا يولد الإنسان أو يموت.

وما أشقانا بنا، وفينا يموت الإنسان ويموت.

وبيْن الموْتتيْن حياةٌ وأيّ حياة ؟ ؟ ؟

فسلام عليك عيسى يوم ولدتَ، ويوم تموتُ، ويوم تُبعث حيّا.

وسلام عليك يا محمد يوم ولدتَ، ويوم متَّ، ويوم تُبعث شفيعا وشاهدا على البشرية حيّا

سلام عليكما في عيد ميلادكما الألق ، يا فرح البشرية المخبوء في داخلها نور الفطرة السليمة التي نحنّ لها في كل عيد.

ومضة

جراح

جرْح على الوجه.
جرْح على القلب.
وتتلطخ بالدم وزرةٌ بيضاء
مضمّخة بالعرق والطبشور
والأمل...
ويتلطخ بالدم مشعل
تحمله.. تحترق.. تنزف...
بأي ذنب طعنت؟!
أي تاريخ يشهد جرحها
الغائر وهي التي سطرت
بعمرها دروسا بين شعابه؟!
أي جغرافيا تتسع لاحتواء نزيفها؟!
أي ضماد يحتوي جراحها؟!
ينزف الوجه...
ينزف القلب...
ينزف العِلْم ...
فإلامَ تنزف الجراح؟!

ذة. نبيلة عزوزي

المغرب: خبراء يدعون لإطار مرجعي عربي موحد لتعليم العربية للأجانب

دعا خبراء لغويون وباحثون إلى إبداع إطار مرجعي موحد لتلقين اللغة العربية لغير الناطقين بها يناسب خصوصية اللسان العربي. جاء ذلك خلال افتتاح ندوة علمية، في الرباط، حول "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من التعدد إلى توحيد المعايير"، وذلك ضمن أسبوع اللغة العربية بالمغرب الذي ينظمه الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية.

وقال فؤاد بوعلي رئيس الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية إن" اللغة العربية بالرغم مما تعانيه من تهميش يمنعها من القيام بأدوارها، فإنها تشهد إقبالا كبيرا من قبل الأجانب والناطقين بغيرها من شرق آسيا إلى أعماق أفريقيا مرورا بأوربا وأمريكا."

وتأسف بوعلي على ما أسماه " غياب رؤية موحدة للعمل على الموضوع من قبل المؤسسات المعنية"، مشددا على أن "هذا الطلب المتزايد يفرض على المهتمين ومعلمي العربية للأجانب؛ توحيد الجهود ومعايير التدريس والتقويم وإعداد الاختبارات."

.ودعا إلى الاستفادة من تجارب تعرفها عدد من الدول العربية من أجل الوصول إلى إطار عربي موحد لشهادة الكفاءة اللغوية العربية مثل عدد من الدول الأجنبية.

بدوره دعا محمد الشكيري رئيس المركز الجامعي لتلقين العربية لغير الناطقين بها(غير حكومي)، إلى "التأمل في مدى مسايرة العربية للاحتياجات العصرية ومدى ملاءمة المناهج الغربية للتعرف على مميزات العربية الفصحى وقدراتها الإداعية والإنتاجية".

وأضاف "يراد لنا أن نتبنى منهج الانجليزية في تلقين اللغة للغير مع أن الإنجليزية لا تتميز بنفس التجانس الذي تتميز بها اللغة العربية".

تعزية

إنا لله وإنا إليه راجعون

انتقل إلى جوار ربِّه، المشمول بعفو الله وكرمه "العباس الكيزي"، فجر يوم الأحد 28 ربيع الأول 1439 هـ، موافق 17 دجنبر 2017 م... بعد أن ترك بصمات لامعة في مجالي التدريس والإدارة التربوية.

فلقد عرف الفقيد في الأوساط التربوية والتعليمية على الخصوص بكفاءته وإخلاصه وتواضعه ولطفه وإيثاره... مما جعله محل تقدير وإكبار...

أمام هذا المصاب الجلل، تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي والمواساة لزوجة الفقيد وأبنائه. وجميع أفراد أسرته، راجية من الله أن يسدل عليه شآبيب رحمته، ويتقبله في الصالحين ويجعله من المكرمين.

وإنا الله وإنا أليه راجعون.

د. عبد المجيد بنمسعود

قبسات فكرية

مؤشرات الانحطاط

مما درجت الأمم في عصورها الحديثة على تعهده بالمتابعة الحثيثة والتقويم المستمر، حالة النمو الاقتصادي، فهي ترصد مساره بشكل دوري على المدى القريب والمتوسط والبعيد، باعتباره شرط وجود، أو شرط قوة في ذلك الوجود، وقد هداها حرصها على ضمان الاطمئنان على حسن سير حركة النمو في الاتجاه المطلوب الذي يحقق الرفاهية والازدهار، إلى تقعيد قواعد للضبط والملاحظة، ورسم مؤشرات علمية تقيس بشكل كمي حصيلة حركة النمو الراهنة، ويمكن أن يؤسس عليها فعل تنبؤي لما يحتمل أو يرجح أن يؤول إليه الأمر مستقبلا.

وإذا كان هذا الأمر محمودا باعتباره وسيلة من وسائل العمران البشري في بعده المادي المعيشي، فإن ما هو غير محمود، بل إنه لمستغرب ومذموم، هو أن يحصل في مقابل ذلك الاهتمام المحموم بمؤشرات النمو الاقتصادي، شبه إهمال كامل بمؤشرات النمو الأخلاقي، التي تحدد موقع المجتمع والأمة من مكارم الأخلاق، وتريها وجهها في مرآته الصافية، هل لا يزال يحتفظ ببقية من جمال وحياء وبهاء ترشحه لأن يبث في الناس معنى الحياة، ويرشحهم إلى التطلع إلى الأفضل والأعلى في مدارج الارتقاء الإنساني، أم أنه أصبح كسيفا تشوهه الدمامل والخدوش، وتغلفه الغبرة والسواد.

ووجه الغرابة في صنيع قوم يستسيغون هذا الفصل بين رصد مؤشرات النمو الاقتصادي، ورصد مؤشرات النمو الأخلاقي، هو غفلة هؤلاء عن العلاقة الوثيقة التي تربط القضيتين، حتى لكأنها تؤول عند العقلاء والحكماء الذين سبروا أسرار الحضارة وحقائق العمران البشري إلى كونها علاقة سببية محكمة، ولعل هذا هو ما جعل أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله يطلق بيته المأثور الذي لا زال يتردد على لسان كل مفجوع بانهيار صرح الأخلاق، الذي بات ينذر بانهيار حضارة باتت كالشجرة المسوسة المنخورة.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن مما يكتسي طابع الإلحاح في حياتنا الراهنة، أن نولي أهمية كبرى لمؤشرات الانحطاط الذي أصبح يزحف على حياتنا بشكل عنيف، ويكتسح في كل يوم مساحات جديدة من قيم الحق والخير والجمال، فيدفعها إلى مناطق الأسر والاعتقال، في غياب من يفديها ويستميت في حمايتها والذود عن حماها، لأن رصدنا لتلك المؤشرات – أي مؤشرات الانحطاط – من شأنه أن يجعل القيمين على هذا المجتمع أمام مسؤولياتهم، فيضعون أعمالهم في ميزان الشرع والعقل، وفي ميزان الأمانة العظمى التي قلدهم الشعب إياها، هل رعوها حق رعايتها، أم أنهم جعلوها رهن الضياع والإهدار.

قد يقول قائل: إن مراكز الأبحاث، ودوائر الدولة ومؤسساتها المتنوعة تضطلع بمهام الرصد والإحصاء والتصنيف والتحليل والتعليل لكل ما يقع من جرائم وانحرافات وجنايات تكبد الأفراد والمجتمع خسائر فادحة في أمنهم واستقرارهم واطمئنانهم. والجواب الصارخ على هذا القول: هو ما جدوى كل ذلك على فرض القيام به بما يستحق من مواصفات، إذا لم تتم ترجمته الصارمة إلى استراتيجية للإصلاح، يعاد على أساسها النظر في كل مؤسسات المجتمع وأنظمته، ثم هيكلتها بما يستجيب لمتطلبات التقويم والإصلاح؟

لقد باتت حياتنا اليوم ترتكس ارتكاسا في حمأة كابوس مرعب اسمه العنف، يقض مضاجعنا ويلازمنا ملازمة الظل لصاحبه، و لا ندري هل من سوء حظنا أم من حسنه أن نكون في وضع لا تبخل علينا فيه وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي بأي صورة من صور البؤس الأخلاقي والانحطاط القيمي التي تسجلها لوحة الواقع الاجتماعي عندنا، فضلا عما تنقله من جهات أخرى، لقد تولد لدينا إحساس دائم بالقرف والغثيان، وانعدام المعنى.

إننا لو مضينا نعدد مؤشرات الانحطاط التي باتت تحاصر حياتنا الأخلاقية والاجتماعية لاحتجنا إلى مجلدات، فتفسخ القيم وإطلاق العنان للأهواء لا يقابله إلا الانحطاط، ولكننا نكتفي بمؤشر واحد أصبح سيد الموقف في هذه المدة الأخيرة، وأصبح حديث الساعة ومادة الناس والإعلام، إنه مؤشر اعتداء التلاميذ على أساتذتهم وارتكاب العنف ضدهم. إن استشراء هذا السلوك المشين، واتجاهه لأن يصبح ظاهرة، لا يمكن أن يجادل عاقل في كونه من أكبر مؤشرات الانحطاط، في مجتمع يفترض فيه بحكم الإطار المرجعي الذي ينتسب إليه، أن يكون أكثر المجتمعات نأيا عنه وعن أسبابه، كما لا يجادل عاقل في أن هذا السلوك الشنيع هو عنصر فشل وإخفاق للمدرسة المغربية، وعنصر إدانة لمنظومة ينبغي أن تعلن إفلاسها وإصابتها بعلل قاتلة تحتاج إلى تشخيص جاد وعميق، ثم علاج شامل ودقيق.

وحتى لا أرتكب ظلما ضد المدرسة أو "المنظومة" التعليمية، فإنني لا أحملها وحدها جريرة ما يحصل من تفلت وعربدة، فأقول بأن للأسر ومؤسسات الإعلام كفلا من المسؤولية في ذلك، فالكل مسئول " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" كما قال الرسول ﷺ، ولكن المدرسة بحكم احتضانها للناشئة لوقت أطول عبر مختلف مراحل الطفولة واليفاعة والمراهقة، لو لم تفرغ من روحها وجوهرها لفعلت العجب العجاب، في تعهد الأطفال والمراهقين والشباب.

إن هذا الانفلات الخلقي الذي تكرر في نسخ مقرفة ومخزية في عدد من المؤسسات التربوية لا يمكن أن يذهب أدراج النسيان، بل لابد أن يظل عامل قلق وهم ومساءلة دائمة لكل من يهمهم الأمر، حتى يعود للمدرسة بهاؤها المفقود، ودورها المنشود.

إنني وإن رسمت لوحة قاتمة، لا تعدو أن تكون نقلا لواقع مرير، فلا يفوتني في ختام هذه المقالة أن أعبر عن انطباع يمثل الأمل وعدم اليأس في عودة الوجه المشرق لمدرسة القيم في وطننا العزيز، تولد لدي هذا الانطباع عندما شاهدت مقطعا نقلته جريدة هسبرس الإلكترونية لمجموعة من تلامذة مؤسسة الشريف الإدريسي التأهيلية بابن امسيك بالبيضاء وهم يقدمون باقات من الورود لأساتذتهم، تعبيرا عن امتنانهم لهم وعرفانهم بالجميل، وبرهنة على أن معين الخير والجمال لا يمكن أن ينضب، وأن جذوة الحب لا يمكن أن تنطفئ. وصدق الله القائل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الأعراف: 57).

بنبض القلب

ذ. أحمد الأشهب

بوح في ذكرى مولد خير البرية

أين نحن من تحذير المصطفى ﷺ، وهو يسطر لنا معالم الطريق الذي علينا أن نسلكه... أين نحن من المحجة البيضاء التي تركنا عليها والتي لا يزيغ عنها إلا هالك؟؟... زاغت بنا الأهواء وتفرقت بنا السبل... وبدأنا عهدا جديدا من التنابز السياسي، والهرولة نحو أعداء الأمة، في وقت تجبر فيه الكبار على الصغار، واستأسد فيه الصهاينة على كل الجبهات، لم نعد ندر إلى أين تسير بنا السياسات الرعناء التي يخطط لها أعداء الأمة، ويطبقها ساستنا الجدد في العالم العربي والإسلامي... خلت قواميسنا السياسية والعسكرية من مقاومة الاحتلال الصهيوني في مسرى نبينا ، وبات التطبيع حلما لدى معظم دولنا العربية، في قمة الرياض للاتحاد الإسلامي العسكري لمكافحة الإرهاب، تكلم وزراؤنا في الدفاع عن كل أشكال الإرهاب، إلا الإرهاب الإسرائيلي الغاشم الذي ما فتئ ينهب الأرض والعرض ويبني المستوطنات ويشرد الأهالي، ويجوع أبناءنا في الضفة والقطاع... إلى أين نسير وسط كل هذا الدمار الذي يحيق بأرضنا؟ ... معظم الكوارث بل كل الكوارث الإنسانية تحتضنها أرضنا العربية، حتى بتنا نكره أنفسنا ونخشى أن نعبر عن هويتنا وسط الآخرين... شاخت أحلام القبيلة وانبطح سيد العشيرة، ونادى شاعرنا من ركام الهزيمة :

يـــا إبن الإســـــــــــــلام
يا من يمشي في حقل الألغـــــــام
لا تنتظر من عرب اليوم سوى الكلام
لا تنتظر منهم سوى رسائل الغـــرام

سيدي ونبيي... سرقوا منا الفرح ليلة مولدك، ولم نعد نحتف بذكراك العطرة كما كنا صغارا... نرفل في ثيابنا الجديدة، ونأكل حلوى المولد ، ونعبر الحارة مرحا وابتهاجا... نسمع الأمداح والمواويل الشجية التي ينشدها الكبار فرحا بقدوم هذا الحدث الشريف ، غابت الفرحة، وانتصبت الجراح في كل مكان شاهدة على زمان الظلم والخذلان... فمعذرة إن أنا بحت لك بحزني وألمي يا سيدي... فعليك أزكى الصلاة والسلام، يا من أشرق نوره وسط أكوام الظلام، يا من علمنا أنه لا يغلب عسر يسرين...

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 100 درهم

■ خارج المغرب : 30 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 21111134129000014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي:

جريدة المحجة حي عز الله ، زنقة 2 ، رقم 3 ، الدكارات ،

فاس – المغرب

وزارة الثقافة والاتصال: المشاريع المستفيدة من دعم الكتاب والنشر

أفادت وزارة الثقافة والاتصال أن عدد المشاريع المستفيدة من الدعم المتعلق بالكتاب والنشر برسم الدورة الأولى لسنة 2017 بلغت 176 مشروعا، بمبلغ إجمالي يقدر بـ 2.855.100 درهم.

ويهمّ هذا الدعم، بحسب بلاغ للوزارة:

– 84 مشروعا في مجال نشر الكتاب، بمبلغ1.097.000 درهم

– 29 مشروعا في مجال المجلات الثقافية بمبلغ 410.000 درهم

– 9 مشاريع في مجال نشر المجلات الثقافية الإلكترونية بمبلغ 190.000 درهم

– 34 مشروعا في مجال المشاركة في المعارض الدولية للكتاب بمبلغ 580.100 درهم.

غزة: المختبرات وبنوك الدم تحذر من توقف بعض خدماتها بداية 2018

أكد مدير وحدة المختبرات وبنوك الدم في قطاع غزة شحدة برهوم أن هناك نقصاً كبيراً في الأصناف المخبرية والمستهلكات اللازمة لتقديم الخدمات المخبرية، مشيراً إلى أن الوضع سيكون أصعب في بداية السنة المقبلة إذا لم يتم حل المشكلة.

وذكر برهوم أن الوزارة استطاعت اجتياز الفترة السابقة من خلال إجراءات ترشيدية، إلا أن الوضع سيكون أكثر سوءاً في بداية العام المقبل، وستكون هناك خدمات مهددة بالتوقف كخدمة فحوصات غازات الدم التي يستفيد منها أقسام العناية المركزة وحضانات الأطفال، إضافة إلى خدمات أساسية أخرى.

وأضاف برهوم أن نقصاً كبيراً سيحدث في الفحوصات اللازمة لخدمات نقل الدم ومشتقاته مثل فحوصات التهاب الكبد الوبائي C وB وفحوصات HIV، حيث تقدم الوحدة هذه الخدمات لكافة المحافظات الجنوبية بما فيها جمعية بنك الدم المركزي في غزة وفروعها في رفح وخانيونس.

"كير": "الإسلاموفوبيا" في عهد ترمب الأشد منذ هجمات 11 سبتمبر

اعتبر مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) مستوى ظاهرة "الإسلاموفوبيا" بالولايات المتحدة هو الأسوأ في عهد الرئيس دونالد ترمب، منذ هجمات 11 سبتمبر 2001.

جاء ذلك على لسان إبراهيم هوبر، مدير شؤون الاتصالات بالمجلس، في مقابلة مع صحيفة "إندبندنت" البريطانية نُشرت الأربعاء، بحسب "الأناضول".

وقال هوبر: إن مشاعر التعصب لم تعد تستهدف المسلمين الأمريكيين فحسب، بل طالت أيضًا الكثيرين من المنتمين للأقليات العرقية وأصحاب البشرة السوداء.

يذكر أن مجلس "كير" أعلن عبر موقعه الإلكتروني في وقت سابق أنه يقوم بجمع بيانات عن جرائم كراهية وحوادث أخرى تتعلق بـ"الإسلاموفوبيا" يتم الإبلاغ عنها منذ العام الماضي ولم تغطها وسائل الإعلام.

وقال المجلس: إنه سجّل خلال الفترة من يناير حتى سبتمبر 2017، 1656 واقعة "تحيز" ضد المسلمين و195 "جريمة كراهية".

وأوضح أن ذلك يمثل زيادة بنسبة 9% في وقائع التحيز ضد المسلمين، و20% زيادة في جرائم الكراهية مقارنة بعام 2016.

اليونسكو تحتفل باليوم العالمي للغة العربية

احتفلت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" يوم الاثنين باليوم العالمي للغة العربيّة وتنظم فعالية دور التكنولوجيات الجديدة وكيفيّة تسخيرها وذلك في مقر المنظمة بباريس.

وذكرت اليونسكو – في بيان لها – أن الفعالية تهدف إلى "الإقرار بالمساهمة الجليلة الهائلة للغة العربيّة في إثراء العلوم والثقافة العالمية ومنها الفلسفة والآداب والفنون".. مذكرة بكون اللغة العربيّة إحدى اللغات الأكثر انتشارا واستخداما في العالم إذ تعدّ اللغة الأم لما يزيد على 290 مليون نسمة كما قد بلغ ملايين من الأشخاص الاخرين مستوى التحدث بها بطلاقة. كما تهدف إلى استكشاف العلاقة بين اللغة العربيّة والعلوم (التراث الثقافي والمعارف)، والتخطيط اللغوي ودوره في تعميم اللغة العربيّة والهندسة اللغويّة واستخدام التكنولوجيّات الحديثة في تعليم اللغة العربيّة بالإضافة إلى مستقبل اللغة.

إندونيسيا تصدر 3 ترجمات جديدة لمعاني القرآن الكريم

أصدرت وزارة الشؤون الدينية في إندونيسيا، ترجمات جديدة لمعاني القرآن الكريم إلى 3 لغات محلية، ليبلغ إجمالي عدد الترجمات التي أصدرتها الوزارة هذا العام 12، بحسب ما أفادت، يوم الخميس الماضي، صحيفة "جاكارتا بوست" (خاصة).

واللغات الجديدة التي تم الإعلان عنها اليوم هي: ملايو أمبون التي ينطق بها سكان جزر مالوكو، وبالينيسي الخاصة بجماعة عرقية تحمل الاسم ذاته في جزيرة بالي، ولغة جماعة بنجرالعرقية في إقليم كاليمنتان الجنوبي بجزيرة بورنيو.

وأضاف، وفق "جاكارتا بوست" بالقول: "ترجمات معاني القرآن الكريم ستوفر الخدمات الدينية للمسلمين غير الملمين باللغة الإندونيسية، إضافة إلى الحفاظ على الثقافة المحلية عن طريق تعزيز اللغات الإقليمية، لا سيما اللغات التي تواجه خطر الانقراض".

يوجد في إندونيسيا بجانب اللغة الرسمية للبلاد (بهاسا إندونيسيا) نحو 700 لغة محلية، وفق تقارير إعلامية عدة.

دعوات في بريطانيا لتحرك أوروبي نصرة للقدس

دعا نشطاء عرب وبريطانيون الدول الأوروبية يوم الأحد 17 من الشهر الجاري لاتخاذ موقف حازم إزاء قرار الرئيس الأميركي دونالد ترمب اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، ولصياغة مقاربة جديدة في مواجهة الانحياز الأميركي الصارخ لإسرائيل.

وندد البروفيسور كامل حواش نائب رئيس حملة "التضامن البريطاني مع الشعب الفلسطيني" بخطوات التطبيع العربي المندفعة باتجاه تل أبيب، كما عاب على الدول العربية الاستمرار في إبرام الصفقات التجارية وصفقات الأسلحة مع الإدارة الأميركية الحالية بقيادة ترمب.

واعتبر حواش أن ما يعرف بـ "صفقة القرن" مشروع إسرائيلي بحت قدمه رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وتبنته دول عربية وسارعت للتسويق له.

وجاب المتظاهرون شوارع مانشستر رافعين صور القدس، ومنددين بترمب وسياساته المنحازة تماما لإسرائيل، وتحديدا قراره الأخير بنقل سفارة بلاده إلى المدينة المقدسة.

عين على الأحداث

نيويورك تايمز: عسكر ميانمار يمحو تاريخ الروهنغيا

كشفت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية النقاب عن أن الجيش في ميانمار يسعى لمحو تاريخ أقلية الروهنغيا من البلاد، بطمس وتدمير معالمهم البارزة، وحرق أراضيهم، ومنازلهم حتى تكون العودة بالنسبة لهم ضربا من الجنون.

وقالت الصحيفة، إن "الهيئات الحقوقية تحذر من أن السلطات تمحو الأدلة التاريخية للروهنغيا في ميانمار، مع الحملة العسكرية التي وصفتها الولايات المتحدة بأنها "تطهير عرقي".

وتعتبر السلطات، الأقلية المسلمة في ولاية أراكان متظاهرين خطرين من بنغلادش، واليوم، هم في الغالب عديمو الجنسية، وهويتهم ذاتها تنكرها الدولة ذات الأغلبية البوذية.

ومنذ أغسطس الماضي، فر أكثر من 620 ألف مسلم من الروهنغيا –حوالي ثلثي السكان الذين يعيشون في ميانمار عام –2016 إلى بنغلادش، بسبب حملة الجيش ضدهم والتي اعتبرها البعض ترقى لـ"جرائم حرب".

وقال مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان في تقرير صدر أكتوبر الماضي، إن "قوات الأمن في ميانمار سعت لمحو كافة المعالم البارزة في جغرافية المشهد، ومن الذاكرة الروهنغية بطريقة تشير إلى أن العودة لأراضيهم ليس لها جدوى".

ونقلت الصحيفة عن "كياو هين" الذى يعيش بالعاصمة يانغون: إن "الروهنغيا انتهوا من بلادنا... قريبا سوف نكون جميعا ميتين أو رحلنا".

وقال تقرير الأمم المتحدة إن "الحملة في أراكان استهدفت المدرسين والقيادة الثقافية والدينية وغيرهم من قادة النفوذ في مجتمع الروهنغيا لمحو تاريخهم".

وقال "يو كياو هلا أونغ" محامي من روهنغيا: "نحن لدينا تقاليد... كيف يمكن أن نكون لا شيء؟، الحملة لمحو معالم الروهنغيا يجرئ بشكل منهجي".

ومنذ أعمال الشغب الطائفية عام 2012، التي أسفرت عن مقتل عدد كبير من الروهنغيا، وتطهير المدينة من المسلمين، اعتقل 120 ألف من الروهنغيا.

وفي عام 1990، فاز "كياو مين" بمقعد في البرلمان كجزء من تحالف بين الروهنغيا و"الرابطة الوطنية من أجل الديمقراطية"، ولكن المجلس العسكري تجاهل نتائج الانتخابات، وانتهى بـ كياو إلى السجن.

وعاش الروهنغيا في أراكان لأجيال، وخلال فترة الاستعمار شجع البريطانيون مزارعي الأرز، والتجار وموظفي الخدمة المدنية في جنوب آسيا على الهجرة إلى ما كان يعرف آنذاك باسم ميانمار.

وبحلول الثمانينيات، كان المجلس العسكري جرد معظم الروهنغيا من الجنسية، وأدت الهجمات الأمنية الوحشية لموجات من الفرار .

اليوم، جزء كبير من الروهنغيا يعيشون خارج ميانمار، معظمها في بنغلادش وباكستان والسعودية وماليزيا.

(وكالة أنباء أراكان ANA)

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

الدنيوية (2)

ذات يوم قال لي الشيخ أبو الحسن الندوي، وكان رئيس وزراء الهند آنذاك هو راجيف غاندي: "قال رئيس الوزراء في أكثر من مناسبة إن أي شأن يهم مسلمي الهند لا بد أن نستشير فيه علماء المسلمين"، قال: "وكان يعنينا". كانت بالهند آنذاك ضجة مردها إلى أن هناك من كان يرغب في توحيد القوانين، وتطبيقها على أهل الهند جميعا، على اختلاف دياناتهم وطوائفهم، بما في ذلك الأحوال الشخصية. وقد هبّ علماء المسلمين في الهند يردون هذا الكيد، ويدافعون عن ضرورة احتكامهم إلى الشريعة عندما يتعلق الأمر بما يوجبه عليهم دينهم من الحلال والحرام، من ميراث وزواج وطلاق ووقف الخ.. وقد انتهت المعركة بأن أقرت الحكومة العلمانية في الهند بما للمسلمين من حقوق. ولذلك كان مسلمو الهند يدافعون عن دستور البلاد الذي يقر بعلمانية الدولة، إذ لم تكن العلمانية -هناك- تعني الكفر والإلحاد، كما هو الشأن في بعض البلاد، بقدر ما كانت تعني إقرار كل طائفة من طوائف الهند التي يعجز عنها العدّ على ما هي عليه من معتقدات، وكفالة حريتها في المعتقد والعبادات، مثلما ذهب إلى ذلك جون لوك، الفيلسوف الإنجليزي، الذي كان يرى أنه "من أجل الوصول إلى دين صحيح، ينبغي على الدولة أن تتسامح مع جميع أشكال الاعتقاد دينيًا أو فكريًا أو اجتماعيًا، ويجب أن تنشغل في الإدارة العملية وحكم المجتمع فقط، لا أن تُنهك نفسها في فرض هذا الاعتقاد ومنع ذلك التصرف"، على عكس ما ذهب إليه الفيلسوف سبينوزا إذ قال "إن الدين يحوّل قوانين الدولة إلى مجرد قوانين تأديبية". كان فصل الدين عن الدولة في الهند يعني حرية الطوائف وأهل الملل في معتقداتها وعباداتها. فالدولة مهتمة بشؤون الناس الدنيوية، ويخضع أهل البلاد جميعا لقوانين موحدة، إلا عندما يتعلق الأمر بالشؤون الدينية، فإن لكل طائفة الحق في ممارسة شعائرها الخاصة. إن العلمانية بهذا المفهوم هي التي أوصلت إلى رئاسة الجمهورية رجالا مسلمين في الهند، مثل ذاكر حسين، وأبي بكر زين العابدين عبد الكلام، ونساء مسلمات في دول، مثلما هو شأن أمينة غريب المسلمة التي صارت رئيسة جمهورية موريسوش، كما أوصلت علمانية أستراليا السيدة حليمة يعقوب لتكون رئيسة للجمهورية.

فأيهما أمثل؟ أن ينصّ في الدستور على علمانية الدولة، ويبقى لجمهرة المسلمين الحق في الاحتكام إلى الشريعة فيما يتعلق بشؤونهم التي فيها نص شرعي صريح؟ أم أن ينص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، ثم تكون الدولة هي أول من يعتدي على حقوق الدين، وحقوق المواطنين؟ ألا نرى كيف أن دولة من محيطنا ينص دستورها، منذ مطلع الاستقلال حتى الآن، على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، ثم هي تفصم عرى الإسلام فيها كل يوم عروة عروة؟ ها هي قد خرقت شرع الله فيما يتعلق بالإرث، وسوت بين الذكر والأنثى فيه، مع ما يترتب على ذلك من هضم لحقوق كثير من النساء. وها هي تشرع قانونا تبيح بموجبه تزوج المرأة المسلمة من الكافر. فما قيمة الشعار الذي يزين أول بند من بنود دستورها؟

عاشت الأمة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ والمسلمين والخلفاء الراشدين الإسلام واقعا في حياتها، دون أن يكون هناك نص في دستورها على إسلامية الدولة، إذ كان كل مسلم يرى نفسه مؤتمنا على الإسلام. كانت الأمة تقوم بشؤونها الدينية خير قيام، ولاسيما مع مؤسسة الوقف التي كانت توفر للمسلمين ما يحتاجونه في مجال التعليم والصحة والإنفاق على الضعفاء من اليتامى والأيامى والفقراء والمساكين وغير ذلك، دون أن يكون للدولة سلطان على الأوقاف التي كان يقوم عليها المجتمع. وأكبر كارثة في واقعنا المعاصر كانت يوم وضعت الدولة، دولة الاستبداد، يدها على الأوقاف وأنشأت لها وزارة خاصة، وضمت أملاك الوقف التي قامت عليها الأمة عبر قرون إلى ممتلكاتها الخاصة. فصار علماء المعاهد والمدارس، من الأزهر إلى الزيتونة والقرويين، موظفين عند الدولة، تقطع عنهم أرزاقهم إن هم خالفوا سياستها. ولا يخفى أن الذي مهد لهذا السلوك هو الاستعمار الغربي، ثم رسخه ما يسمى الدولة الوطنية التي نشأت بعد استقلال الأوطان المستعمرة. فيما قبل كان السلطان ينزل على رأي العالم، فلا يقضي في شأن من أمور الدين إلا بما يشير به العالم. ويوم صعد، في خمسينيات القرن الماضي، حاكم عسكري منبر الأزهر، فقد الأزهر هيبته وسلطانه، وصار العالم الذي كان صاحب الأمر مجرد تابع لحاكم تقلد الأمر قهرا، على غير مشورة المسلمين. ومن فضل الله تعالى أن البيعة الشرعية في بلادنا المحروسة ما تزال لا تنعقد للسلطان إلا ببيعة العلماء. وهكذا فإن القضية ليست بالرسوم والأسماء، بل هي بالجوهر واللباب. إنني لا أدعو بهذا الذي سبق إلى محو الفصل الذي ينص في الدساتير العربية على إسلامية الدولة، بل أدعو إلى تفعيله وتنزيله، ولو تدريجيا، ليصير واقعا في حياة الناس، لأنه إن عطل، كما هو الشأن في بعض البلاد، فخير منه إعلان علمانية الدولة، شرط أن تكون هذه العلمانية بالمفهوم المتقدم الذي ينص على حرية الناس، لا أن تتخذ ذريعة إلى زرع بذور الكفر والانحلال باسم الحرية، كما فهم ذلك بعض الجهال، ممن يحسبون أنفسهم علمانيين، ذلك بأن لكل أمة مقوماتها التي لا تقوم إلا بها، والتي تدافع عنها بالمهج والأموال. ونحن أمة عشنا بالإسلام وللإسلام، هذا الإسلام الذي لم يضمن الحرية لأبنائه فحسب، بل ضمن الحرية لكل الملل والنحل والطوائف التي عاشت فوق أرضه، ولولا ذلك لانقرضت كما انقرضت من بلاد أخرى. وذلك هو ما رسخه عمليا رسول الله ﷺ الذي لحق بربه تعالى ودرعه رهينة عند يهودي. فتحت ظل الإسلام ضمن أهل الكتاب وسواهم حقوقهم الدينية والمدنية.

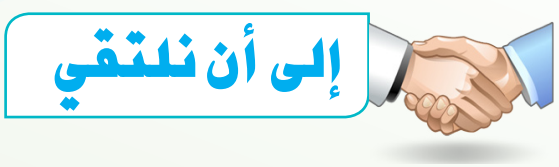

إلى أن نلتقي

في ذكرى مولدك يا حبيب الله

في ذكرى مولدك يا حبيب الله ما أحوجنا في عصرنا هذا الذي اختلفت فيه الأهواء وتعددت المشارب وكثرت النزاعات وسادت الأنانية، ما أحوجنا إلى الاقتداء بك، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الإسراء: 21)، فبالاقتداء بسنتك وسيرتك كل الفلاح والنجاح، وبالسير على هديك يحصل التوفيق والسداد، ويحصل الأمن والسلام، صلى عليك الله ما هبَّت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم.

في ذكرى مولدك يا رسول الله، ما أحوجنا في عصرنا هذا الذي افتُقد فيه الحياء أو كاد، إلى الاقتباس من خُلقك العظيم، فلقد قال فيك رب العزة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، وبيَّنت في أكثر من حديث مكانة الخُلُق في الدين، فقلت وأنت الصادق الأمين: «لكُلِّ دين خُلُق، وَخُلُق الْإِسْلَام الْحَيَاءُ» (رواه ابن ماجة رقم 4182)، وقلت أيضا، وأنت الذي وصفك ذو الجلال والإكرام بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 128)، قلت مبيِّنًا دور الخُلُق في كمال الإيمان: «أكمَلُ المؤمنين إيماناً أحسنُهُم خُلُقاً» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)، وقلت، وأنت الذي أرسلك الله رحمة للعالمين: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ».(رواه الطبراني في "الأوسط" (7697)) (العنت: العَيْبَ).

في ذكرى مولدك يا رسول الله ما أحوجنا ونحن في عصر يوصف بعصر العولمة، وعصر المعلومات، وعصر التواصل الاجتماعي السريع؛ بما عرفه من وسائل وتقنيات، سهَّلت سيرورة المعلومة وتجوالها في الآفاق في وقت قصير وقياسي، فانتشر كل غثٍّ من الأقوال، وكل سمين من المنكرات، وانتُهكت الأعراض، وكثر القذف والسب والشتم والغمز واللمز، في ظل ذلك وغيره، ما أحوجنا إلى العمل بحديثك الذي بيَّن ملاك الأمر وأسسه في الدخول إلى الجنة، حيث قلت -صلى الله عليك في الأولين والآخرين- مخاطبا معاذ بن جبل: «...»أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» فقال لك: بَلَى يَا نَبِيَّ الله. فَأَخَذْتَ بِلِسَانِكَ، فَقُلْتَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقلت: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» (رواه الترمذي وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

في ذكرى مولدك يا حبيب الله ونحن في عصر بدت فيه معالم الافتخار بالآباء وبما لكل واحد من متاع الدنيا، ما أحوجنا إلى الاهتداء بقولك المبين لحقيقة الإنسان: «إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ» (رواه الترمذي، وأبو داود).

في ذكرى مولدك يا رسول الله ما أحوجنا ونحن في زمن كثر فيه الهرج والمرج والقتل والاقتتال، وانتشرت فيه الفتن، وخاصة في بلاد المسلمين، وبمن له صلة بها، ما أحوجنا إلى استحضار قولك الطاهر الشريف: «لزوال الدنيا أهون على الله ﷻ من سفك دم مسلم بغير حق» (رواه البيهقي الطبراني والنسائي بألفاظ متقاربة)، وقولك بلفظ آخر: «لهدم الكعبة حجراً حجرا أهون من قتل مسلم».

في ذكرى مولدك يا حبيب الله، ما أحوجنا ونحن في زمن كثر فيه المدَّعون قولا حبَّك وحبَّ الله تعالى، وأفعالهم بريئة من ذلك، ما أحوجنا إلى استلهام مضمون قولك الشريف: «لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري ومسلم) ولن يكون هناك حب صادق لك إلا باتباع ما أنزل الله في كتابه، وما سطره النبي المصطفى في سنته، مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: 31).

صلى الله عليك يا حبيب الله، صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله.

اللهم صل على نبيك محمد كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذِكْرك وذِكْره الغافلون.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني